اسفكسيا
رواية
محمد الخير أحمد

رواية

اسفكسيا

محمد الخير أحمد حمدان

مراجعة رزان هشام/أية ربيع

تصميم الغلاف عبد المنعم محمد(إبن عرفة)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

2047 / م/ 2021 م/ 21 ك

الإهداء

إلى الجواهر حيثما وجدت . . إليها

اسفـكـسيـا

في غرة آذار حين تتخذ الشمس موقعها الكاشف من وسط السماء، وترتفع درجات الحرارة مبشرةً بتساقط العرق من الجبين مضيفة لإنسان البلاد ماء الذهب من بعد سمار بشرته، وكأن السمار أُعِد تماماً لهذه الشمس الذهبية، والكادحون على نورها سنابل قمح تتمايل مع الريح باحثةً عن ما يبقيها على قيد الحياة عن حلم سعيد يختبئ وراء الشمس الذاهبة، والنتؤات الداخلية والسقام النفسي يشتت افكار عقلهم التالف، هنا في موطن غرق تاريخه في حاضره والمستقبل ينظر بعين الشفقة والضياع، في مكان ما هنا داخل صرح عملاق تحفه أشجار النخيل، حين الأصيل، جلس محمد جوهر بين أسرته يتسامرون بينهم ويضحكون، أُمه مريم ذات الخمسين خريفاً تصب

لهم القهوة الساخنة على أكواب الفرح، بشخصيتها الصامته دائماً تجد إنصات عظيم من الآخرين عندما تتكلم ليشهدوا المنظر الخلاب لرتلة أسنانها و تغريد صوتها هذا في حال تكلمها؛ فهي دائماً تؤثّر الصمت .

سديم وسنينها الثمانية هي روح الأسرة وجمالها وضحكتها؛ فهي بلا تكلف تمتلك قدرة مستر بن وتشارلي شابلن في الإضحاك الصامت، تحمل إبتسامة تخطف قلوب أشباه فرعون، عيوناً كحبات الكرز المقطوفة من الحقل حديثاً، وجهاً كالشمس والاختلاف الوحيد أنه وردي اللون كأنه مستعار من حبه فراولة، خصلات شعر تشبه آخر ليله من شهر هجري.

علي أكبر الأبناء ذو الشخصية السفسطائية والدوغمائي جداً في معتقداته وأفكاره، رغم هذا يحبه جوهر ويكن له المودة والإحترام، كان متقارب العينين ذو أنف شامخ، قصير القامة عكس جوهر سريع الكلام وكثيره، أما جوهر فهو إبن الخامس والعشرون ربيعاً، له سمرة ذهبية يكاد يكون طويل القامة فقط تنقصه بضع سنتمرات من ذلك، معتدل الجسد مع القليل من العضلات التي تزين رجولته، كثيف الشعر، له عين ثاغبة بنية اللون يعلوها حاجب هلالي مقترن، وجهه يليق بإسمه جوهر كان جوهر الوجه يجذب أنظار محبي الجمال

والندرة، حسن الخلق لا يضر إنساناً ولا يتقاعس عن خدمته، طيب المعشر، لديه شخصية لا انفعالية(لامفاوية)فلم يُرى إلا قليلاً وهو مهتاج أو غاضب، شديد الصبر في أصعب مواضع الصبر، لم يعش على ظل ثروة والده، بل كان يعمل أحياناً مثل الغير؛ لأنه يحب الإعتماد على نفسه رغم معرفته بأن المال الذي يكسبه لا يكفي حتى لشراء عشاء البواب في منزلهم، رغم ذلك كان يعمل لا لأجل المال ولا الترفيه؛ فقط لأنه لا يحب الخمول والإتكالية . كانت الأسرة في نشوة سعادتها وإطمئنانها، لا تصيبها أشعة الشمس، ولا تعنيها أحوال البلاد إقتصادية كانت أو سياسية، عبد الله أبو جوهر يملك شركة لتعدين الذهب والعديد من الأملاك هنا وهناك، كثير السفر والنفر، جماعات من الناس تأتيه وجماعات تذهب، إجتماعي وودود حتى مع منافسيه من الشركات الأخرى، كان مقتنع تمام الإقتناع أن لا علاقة للعمل بالحياة الشخصية، رغم المضايقات الحكومية وضرائبها و محاصصاتها والأموال التي تذهب لخزينة الدولة دون وجه حق؛ كان شريفاً.

كانوا سعداء بأيامهم، سديم تقف بين يدي والدها عبد الله الذي إعتاد تدليلها وإحاطتها بالحب، كانت تحبه وتراه أعظم شيء في الحياة بعد الله، تعتقد أنه كائن أُسطوري وبطل كسوبرمان لديه قدرات

خارقة، يطير في الصباح قبل أن تستيقظ ويعبر المحيطات في لمح البصر؛ فكلما واجهت مشكلة كان الحل عند والدها دون أن يستخدم قواه الخارقة حينها تنظر إليه في تعجب وحب كبيرين، لأنه استطاع بيديه العارية فتح غطاء المشروب الغازي(إنه خارق بلا شك)كانت تردد ذلك في عقلها.

في جهة مغايرة تماماً كان علي وتصرفاته السيكوباتية التي تدل على تزايد أنانيته كثيراً، يفعل دائماً عكس ما يريده والده أن يفعل، يحمل عقلاً بقساوة حبة البندق، ولم يفلح عبد الله في ردعه عن أفعاله القاصرة، فقد كان يثمل حد التمايل والترنح، يفتعل المشاكل هنا وهناك ويتمادى في التبذير، يستعمل دائماً ياء التملك سيارتي، منزلي، ملابسي . . إلخ، يتعانل بكل عنجهية في أصغر الأمور، كان يحقد كثيراً على جوهر بما لا يدع مجالاً للشك أنه سيقتله إن سنحت الفرصة يوماً، المشكلة هي أن والدته تحبه وتقف بجانبه دوماً وتبرر أفعاله التي لا تُبرر، حتى اليوم الذي باع فيه أسهم والده في شركة الموز دون إذن منه والأبشع حرقه للنقود أمام أصدقائه؛ ليبرهن لهم كم هو غني لا يبالي بالأوراق!.

حينما علم عبد الله قرر وضعه في السجن لكي يعلم ماذا تعني الأوراق بالنسبة للناس، إلا أن أمه التي لن تسكت أبداً حالت بينه وبين ذلك لبضعة أيام هرب علي خلالها إلى مكان تعلمه هي وحدها حتى يهدأ الوالد الغاضب وكان هذا ما يزيد الأمر سوءاً .

كان جوهر سعيداً مع أسرته لا يبالي بالمشاكل التي تحدث عادةً، هو يعلم جيداً أن والده لن يتغير وأن علي لن يتغير أيضاً، كذلك أُمه، فقط ينتظر في شوق عودة الملاك من سمائه البعيدة.

السابع من مارس/آذار

كان يوماً عادياً، والشمس في كبد السماء كالعادة، حتى اللحظة التي صرخت فيها سديم و جاءت ركضاً إلى غرفة اخيها جوهر توقفت عند باب الغرفة وهي مبللة بالدموع تجمع أنفاسها المتقطعة وتبدو علامات الهلع عليها بعدها صرخت:

- علي ضرب بابا يا محمد! . . .

طغى الهلع على أركان الغُرفة، حينها قفز محمد جوهر من سريره وهو لا يعلم ما يحدث! في ثواني معدودة وصل الصالة حيث وجد المكان غير المكان الذي كانت تجتمع فيه الأسرة وتتبادل الحديث

والضحكات حيث كبرت روحه حيث عاش الإنبساط والشعور بالإنتماء، وجد الصالة باتت كأرخبيل للدماء هناك جُستين الأولى تسيل منها الدماء كأنها ينبوعه وكان اباه، الثانية يسيل لُعابها ويخرج من فمها زبد السُكر فائحةً منها رائحة الخمور، هي ميتة روحاً وعقلاً لكن قلبها المتسخ ينبض عليها كل خباثة الشيطان وأوساخ الحياة، سارع محمد جوهر إلى والده ركع على ركبتيه و أسند رأس ابوه عليها وهو يتحسس جِراحه الدامية، لم يحس محمد جوهر أدنى إحساس بأن والده سيفارق الحياة، كيف لهذه الروح الطيبة الكريمة الفراق !بدأ الأب يلفظ الكلمات حيث أشار لإبنه بأن يدنو، دنى محمد جوهر مستمعاً في صمت مذعور تلك الكلمات الحكيمة رغم جهاد والده للتنفس لكنه قال:

- الموت رسالة الجميع يا إبني ليس نهاية المطاف سنلتقي . . مجدداً فإن المرء يحشر مع من أحَب، سديم أبقي نظرك . . مرفوعًا إليها، هناك مذكرات لي عليك . . قراءتها.

نطق الشهادتين بعد كلماته حينها شخصت عيناه وإلتمعت، فاحت ورفرفت روحه عالياً بعيداً عن كل هذا الخراب، ساد الصمت وتوقفت

أصوات الرياح ومعزوفة الكروان وعبِقَ المكان برائحة اللوز في الوقت الذي هيمن فيه الإنشداه وإنقباض القلوب على المشهد، صرخت الأم صرختها القاطعة لجو الصمت وبدأت الدموع تتساقط كأمطار في مقتبل الموسم والنحيب يتناقل في البيت وينتقل إلى البيوت القريبة ثم يهيم في أرجاءِ الأرض مخبراً برحيل روح جميلة عن الدنيا، نُقلت الجثة إلى المشرحة لمعرفة سبب الوفاة ونقل الجاني إلى قضبان السجن ينتظر القضاء، وسط هذا التشتت الروحي وحزن القلب وإنفطاره وقف محمد جوهر يحتضن أخته سديم التي ما برحت النحيب ولم يفارقها ذاك الهلع، كيف لهذه العين اللطيفة أن تطرد المنظر الدموي من مخيلتها؟ !لن تهدأ مخاوفها أمداً، ستظل تخاف الدماء أبداً، جلس يواسيها جوهر بهمسات وكلمات علها تخفف عنها «سيكون كل شي بخير يا أختي، الموت ليس أخر المطاف، أعِدُكِ بأن لن يفر علي بفعلته لا من القانون ولا مني ولا من الله »من مكان ما جاءت الأم يكاد وجهها يُمحى من شدة الحزن وقد جفت عيناها كأنها بكت كل أحزان السنين الخمسين التي عاشتها في ليلة واحدة، إحتضنت إبنتها ومسحت على رأسها وهي صامدة عن البكاء في بسالة عظيمة، ماذا ستفعل الأم الصامدة وقد سُرق أعز ما تملك من

أمامها ومن إبنها الذي ربته؟.

وسط الحزن ونار الإنتقام جلس محمد جوهر على ركبتيه كمن يريد السجود، بعد أن وضع شاهد قبر والده والدموع تتساقط على القبر وهو يدعو له الله بالرحمة والمغفرة،« سنلتقي في الجنة إن شاء الله » قالها وذهب مع جموع المشيعين لإستقبال التوسيات و رؤية كم أن هؤلاء الناس كانوا يحبون والده، لا عجب فأبوه كان الرجل الكريم سليم القلب إمتاز بنفسه السموحة وكرمه الطائي حيث لم يكن يرد سائلاً قط.

بعد إنتهاء العزاء تذكر محمد جوهر وصية والده ومذكراته التي كان يخبئها في خزانته مع السندات العقارية والأوراق المهمة، هم محمد جوهر بأخذ مفتاح الخزنة من أُمه التي كانت خازنة أسرار المنزل، ترددت الأم للحظات قبل أن تُعطي محمد جوهر المفتاح حيث بدت عليها علامات التشتت والحيرة، لم يفهم محمد جوهر معنى الذي يحدث فقط أخذ المفتاح وصعد درجات السلم الخشبي إلى مكتب والده في الطابق الثاني، وجد المكان كما هو يعهده دائماً نظيفاً ومرتباً تفوح منه رائحة الكتب وعطر الريحان، كانت الجدران رفوفاً وضعت

عليها كتب من كل الأنواع، منها الكبير والصغير، التالد والحديث، كانت كلها نضرة توحي بأن اباه يقرأها كلها كل يوم من شدة نظافتها وتفرق صفحاتها، كانت مرتبة الكتاب ينحني على اخيه،.والكل ينحني لبعض أقسم محمد جوهر حينها على قراءتها كلها، على مرمى النظر وانت تقف على حافة الباب ترى مكتباً زاهي بالأوراق والأختام التجارية وبعض من الأقلام التي وضعت على المقالم، على يمين المكتب توجد الخزنة وهذا ما يبحث عنه، تقدم محمد جوهر في وجل وهمّ بفتح الخزنة وعقله يغوص في التفكير(ما الذي تحويه المذكرات؟ هل هي بهذه الأهمية حتى توضع في خزنة؟)توقف عن التفكير فجأة بعد أن امسكت يداه بالمذكرات وبدأ قلبه ينقبض ثم يتسارع في الضربات بعد أن قرأ إسم والده على غلافها . . كانت ضخمة وثقيلة تظنها كتاب في التشريح او من كتب التفسير لابن كثير، جلس على المكتب وأضاء النور العلوي وبات جاهزاً للبدء، الصفحة الأولى حمد وشكر لله رب العالمين على كل النعم، الصفحة الثانية إهداء إلى ابني العزيز محمد جوهر وإلى قرة عيني سديم، كان محمد جوهر يبحث في الوقت الراهن فقط عن السر« ما هو سر علي ولماذا لم يغضب أبي منه حين موته؟ يحبه؟ لا لو كان لبدت عليه علامات الخذلان والضياع، لقد كان

يبدو عادياً كأنه توقع ذلك من قبل «هاهو محمد جوهر يقلب الصفحات باحثاً عن الإجابة الشافية لتساؤلاته، هاهو فصل يحمل عنوان(أخطاء صحيحة)ما هي الاخطاء الصحيحة؟ !فالنقراءها إذًا "يحدث أن تقترف خطأً وانت تعلم بكل حواسك أنه خطأ، تحاول تصحيح مساره وإنتشاله من دوامة الضياع، تنحني لتلتقطه فتُدخل كامل جسدك في البركة لتنتشل ذلك الشئ الصغير قبل أن يكبر هنا بين كل هذا الهلاك، تظن أنك قد إنتشلته ولكن دائماً يبقى شئ يشده إليها حب قديم بينه وتلك البركة لا يبرحها، مهما فعل يأتي إليها سبحان الله !الأمر أشبه بتخيير المرء بين الجنة الخالدة والنار الأبدية ويختار النار !يحبها ويحب من بها فإذا كان قدواته وأساطيره التاريخية قمعوا في تلك البركة وإختاروا النار بملء إرادتهم فما تظن هاذا الصغير يفعل؟ اقول يا بني أن اخاك علي هو الخطأ الصغير، هو ابن غير شرعي لأمك سامحني على هذا لكن الحقيقة يجب أن تقال، لقد وجدت أمك ذات يوم تبكي الشرف وتستجديني لإنتشالها من الفضيحة وسترها، حكت لي ما جرى بينها وذاك الوحش الغادر، أغواها وضللها بوعود يعلم مسبقاً أنه لن ينفذها وصدقتَه، ثم فعل ما يفعل هتك الغشاء وقذف خطيئته في رحم المجتمع، جأتني تبكي قالت أنها مخيرة بين

موت الجنين او حياته بلا أب فقد أنكر الزاني فعلته، لا سبيل للإثبات فمحاولة الإثبات هي فضيحة مدمرة و لا أمل فيها، جأتني تبكي وانا يا ابني مددت يدي إلى البركة أتحرى الخير فيها، تزوجتها وبعد إنجابها علي أنجبتك ثم سديم، لا أصدق أنكما من رحم واحد لو لم أشهد ولادتكما، هو في المغرب وانت المشرق، كالأبيض والاسود، الجنة والنار، انت تعرف ميول علي العدمية تعرف جيداً المذهب المريض الذي يتبعه، يحب المال والشهوة يجري ورأها وحيث وجدت وجد وحيث وجد المال ترقد الشهوة وترتاح، لا يعرف معنى أن يحبك إنسان أن تربط بينكما مشاعر جياشة، أن تكون وفياً، هو لا يعرف معنى الصداقة حتى، لا شيء غير الفائدة، الماديات، يحاجج في كل شيء لا يرضي مطامعه كل شيء لا يشغل حيز مادي فهو فراغ، الحب فراغ القلب فراغ الدين كذلك - كل شي فارغ في نظره - يريد سحب كل العالم لهذا الضياع، إلي مستنقع الخطأ للعيش كما الضفادع تنقع وتأكل الحشرات وتقفز هنا وهناك بلا هدف تموت داخل البرك او في معمل تشريحي لتعليم طلبة الطب او يأكلها إنسان صيني لا دين له، هذا ما يحدث لمن يقدس المادة يصبح وحشاً هشاً يقفز هنا وهناك بلا هدف في الفراغات ويموت بلا فائدة او أثر، أنكر اخوك القلب عبد

العقل و الملموس دون المحسوس، لم يحب أحداً قط حتى أمه كان يعتبرها خادمة له فقط، كان لا يعلم بالحقيقة بعد لكن أخبرته بها هو ابن غير شرعي كان يجب أن يُظهر عكس ميول أبيه عكس الخطيئة الدائمة لكني رأيته متبعاً للضياع بكل حذافيره، أخبرته بالحقيقة ومن تلك اللحظة زاد حقده علينا وعلى كل العالم، ، يحس في ذلك الجزء المظلم من قلبه أن المجتمع نبذه وهاجم إنسانيته، لا يعرف معنى للأسرة سوى أنها شجرة سعيدة مترامية الفروع مرتبطة ببعضها وهو غصن منكسر منها؛ لذا قرر قطع الشجرة وسعادتها وكسر فروعها لتصبح وقوداً لنار الحقد مثله، يهاجم كل ما هو جميل ومُتأصل حسب هوى قلبه المظلم، حاولت ردعه ولم أفلح ليس لقلة حيلتي و إرادتي؛ إنما لتمسكه بالجانب المظلم وسواد نواياه، اللهم قد بلغت وإنك تهدي من تشاء" .

أغلق جوهر المذكرات وهو مشدوه لا يعلم ماذا يفعل، غرق في التفكير وهو يتأمل سقف الغرفة الرمادي، أحس بالنعاس يغشى عينه، راح يفكر فيما سيفعله في أيامه القادمة مع هذا الوضع المهلك الحزين ثم غلبه النعاس وإستسلم وقط في نوم ثقيل .

في الصباح جاءته سديم مشرقة الوجه وأخذت تتحدث معه حديث الأطفال المخلص :

- هل سألتقي أبي في الجنة يا جوهر؟

- بالتأكيد يا سديم فالقلوب الطيبة المحبة تلتقي هناك.

- إذًا ساكون طيبة دائماً مثل أبي.

- بالفعل ستكونين أجمل الطيبات.

- لكن متى يا جوهر؟ متى اذهب إليه؟ إن هذا الحزن مؤلم، هل سينتهي كل هذا الألم يوماً؟

- الحزن دائماً ينتهي كما بدأ، علينا النظر للجانب السعيد لننسى أحزاننا ونهمشها، الحزن شرك لمن يقع ولا يحاول التخلص منه ونسيانه، دائماً الحزن ينتهي برنيم السعادة .

- حسناً يا جوهر ساكون سعيدة وأنت معي فإني أخاف هذا العالم.

- أنتِ يا سديم هديتي من الله ووصيتي لن أُفلتك أبداً، وإني لأسعد جداً لرؤيتك سعيدة.

قال هذا وهو يمسح على شعر سديم الطفلة ذات الثمانية أعوام، ثم ذهبت بجمال فرحتها تلهو في أرجاء المنزل، نهض محمد جوهر من فراشه وصلى الصبح ثم سلم على والدته التي تخفي حُزنها وإنفطار قلبها في تمثيل أُمومي عظيم، النساء رائعات في كل مراحل عمرهن .

صعد السلم لمكتب والده الراحل، فتح الباب فوجد المكان نظيفاً كما هو دائماً يعبق بالريحان، وقف امام رفوف الكتب وأخذ كتاباً بعد أن تساءل ماذا سيقرأ، فقرر البدء بما تلمسه يداه، وها هو يفتح الكتاب ويغوص في صفحاته مستمتعاً بين أحرفه وسعيداً لكم المعلومات المتدفق إليه، لو أنه قضى سنة كاملة يتنقل بين الدول ويتحاور لما علم كل هذا العلم، الكتب منظار العلم الأول، ظل محمد جوهر منغمساً في دهاليز الكتاب، يسعد إن كان النص سعيد يحزن حين تتخذ الحروف شكل الحزن، يتفاعل بكل إحساس لديه مع صديقه الرائع الغني بالأفكار المدهشة والمعلومة المنقذة من براثن الجهل، أكمل الكتاب في اربع ساعات دون إنقطاع ولا كلل او ملل وهم يقرأ التالي في نهم تدفعه المعرفة، داوم محمد جوهر على القراءة وإعتكف جزئياً داخل المكتب، حيث اصبح لا يُرى إلا هناك واحياناً يقضي حوائج المنزل مبتسماً سعيداً يلهو مع سديم ويشاركها الطفولة، يقص عليها

قصصاً مما يقرأ قبل النوم حيث باتت لا تنام إلا بهذا المخدر السعيد .

لم يلقي جوهر بالاً للخبر الذي وصل إليه حول فِرار علي من السجن وذهابه لمكان لا معلوم« لا يهمني إلي اين ذهب واتمنى أن أجده لأقتص لأبي، لكني لن ابحث عنه أبداً سيظهر يوماً ما . . انا متأكد وحينها سأقتص »أسر جوهر في قلبه بهذه الكلمات وهو ينظر للمخبر في غضب، رد المخبر في خيفة:

-لا تقلق سنجده لقد امسكنا بالجندي الذي ساعده على الهرب.

- جندي !واي جندي يهرب الشيطان من ناره !

- نحن نعمل على أكمل وجه !سأبلغك بكل جديد حول القضية .

- سانتظر بلاغك على أحر من الجمر.

قال جوهر هذا ومعالم السخرية على وجهه .

- حسناً هذه صورة من قرار الطبيب الشرعي الذي شرَّح الجثة(وهو يناول جوهر إحدى الأوراق)بعدها ذهب في عجل.

فتح جوهر الورقة وراح يقرأها في لامبالاة« ضربة دامغة وصلت إلى الدماغ لكنها لم تُحدث الوفاة، الموت كان نتيجة راجحة لنقص الأكسجة، هي حالة تسمم بالسيانيد مما أدى للإختناق والوفاة»

(إذًا هناك طرف ثاني في الجريمة)!

- هذا يفسر كل شئ .

لم يسمع جوهر خبراً آخر عن أي شئ سوى خبر كتبه وقصصه المنعشة حيث واظب عليها في تفاني وحب، مرت ستة أشهر على وفاة الأب والأسرة تفعل ما تفعل كل يوم في روتين ثابت لا يتغير، بدأ جوهر يحس بضرورة الحديث مع البشر والإقتراب منهم وتبادل المفاهيم، يحس أن شعور الحزن والوحدة داهما قلبه(لابد من شخص أجد نفسي وعقلي معه يفهمني وافهمه أُحبه ويحبني، إنسان مثلي او مختلف عني، المهم أن استطيع البقاء معه للأبد)

الوحدة والفراغ عدو الإنسان الثاني بعد الشيطان، لا ضرر أن تكون وحيداً، الضرر أن تكون وحيداً فارغاً من كل شئ، من الضروري أن يجد الواحد منا رفيقاً يحادثه ويشاركه الأيام بحلاوتها ومرارتها، لابد من روح تفهم روحنا تحادثنا وتبادلنا المشاعر، وتذكر أن الوحدة تجعلنا أعداء أنفسنا أيضاً.

الثاني من نوفمبر الساعة الثامنة مساءً، جلس محمد جوهر حاملاً كتابه المفضل والذي بدأ يقلب فيه بالجهتين كأنه لم يره من قبل، يستنشق رائحة أوراقه كأنها عطر باريسي شهير، راح يقرأ رائعة

غابريل غارسيا ماركينز(مئة عام من العزلة)يبهره العنوان في كل مرة يتابع فيها صفحات الرواية، راح يفكر حينها(ماذا لو وصلت وحدتي إلى مئة عام كيف ستكون حالي !هل سأكتب رواية أُسميها مئة عام من الوحدة !الوحدة فعلت بآل بوينديا الأفاعيل فماذا تفعل بي؟ يجب أن أخرج للمجتمع وأجد ضالتي ومنقذتي لن أقف مكتوف الأيدي ومرض الوحدة يداهم قلبي)عقد النية وشد وساقه وأكمل ما في يديه من صفحات حتى زلفت الساعة الواحدة ليلاً بكل ذكرياتها وصمتها وأفكارها البعيدة التي لا تتحقق إلا في افكار الليل نفسها، في تلك اللحظات أسند جوهر رأسه على راحة يده وغط في نوم وحيد.

الثالث من نوفمبر/تشرين الثاني .

في الصباح الباكر بدأ الكنار بطرق النافذة مصدراً زقزقته المشابهة للنوتات الموسيقية في دار الأوبرا السلطانية، نهض جوهر من فراشه وأزال بقايا النُعاس والكسل؛ حيث كانت قوة خفية تجره للخلف بأن إرجع إلى فراشك وواصل النوم ربما تأخذ جائزة نُوبل لأكثر الناس كسلاً إن وجدت !بالطبع لا يوجد جائزة كهذه ولن توجد !نظر من شرفة منزله المطلة على البحر البارد في تلك الأيام، قبلت خده نسمة شمالية

مسحت صدر الماء وتعالت لحضن الإنسان المختار في حب وشوق كبيرين، هناك أعلى اسوار النخيل التي شكلت حاجزاً طبيعياً للمنزل وهي تلوح بأغصانها مسلمة على الحياة سلام الملهف المرهف؛ جلس عصفوران يتناجيان في أمور شديدة الأهمية والغموض بحيث يغردان بين كل إيحاءة بينهما تغريدة العصفور المنتشي، نظر جوهر إليهما في تحسر وإعجاب (حتى العصافير وجدت من يشاركها تغريداتها الصباحية الوريفة، من يفهمها في الصباح ويحفزها ويضمها في زلفةِ اليل الأولى حين تغزو ذكريات الخريف الموحش مواطن قلبها وتدق أعناق مشاعرها بالحنين !وانا هنا وحيد ليس لي هدف ولا وجهة ولا حنين إلا لأيام أبي وشعور الفقد الكبير) أحس جوهر بخطوات صغيرة ترسم اصواتاً خفيفة وكأنها تتسلل - خلفه - رأى إنعكاس صورة المتسلل على زجاج النافذة، فكانت كما توقع(سديم)تحاول مفاجأته كما هي تفعل دائماً، لم يخرب عليها نصرها وتظاهر بالا إنتباه، أشبكت كفان صغيرتان حول وسط جوهر في حب وتلطف عظيم، أسندت رأسها على ظهر جوهر، حينها تظاهر بالمفاجأة والإنبهار و ما هي إلا لحظة حتى إستقبلها ومسح شعرها ذو الخصل الحريرية

- صباح الخير جوهر.

هكذا قالت سديم في صوت طفولتها الصباحي.

- صباح الورد عليك يا وردة.

توردت وجنتيها وأزاحت مقلتيها عن أخيها خجلاً .النساء وبكل كبريائهن وفي كل حالاتهن لا يستطعن مواجهة الكلمة الطيبة؛ تظهر دائماً علامات الخجل والحياء عليهن، أجلسها جوهر بجواره وأخذ يتبادل أطراف الحديث معها وهما ينظران إلى البحر من أعلى الشرفة ونسمات نوفمبر تواصل قُبلاتها، أخذت تسأل سؤال الاطفال المُلح حول ما هو هذا ولماذا وكيف !أسئلة إن أمعنت النظر فيها تجدها عظيمة وفلسفية إلى حد ما حتى أفلاطون وأستاذه سقراط لا يستطيعان إجابتها، مثلا :سألت سديم جوهر لماذا تحترق الشمس في الفضاء؟ نظر إليها جوهر نظرة اقل ما يقال عنها أنها متعجبة.

-هل تعلمين يا سديم أن الفضاء لا يوجد فيه أكسجين وتحتاج النار لكي تولد الإحتراق إلى الأكسجين .

- إذًا كيف تحترق الشمس؟ !

وفمها مفتوح من المعلومة التي أدهشتها.

فكر جوهر وقد إرتسمت بسمة لها معنى الطمأنينة على وجهه

-الشمس لا تحترق يا سديم الشمس تتوهج.

أحاطها بعد ذلك بذراعه وهما ينظران للشمس الذهبية في سلام .

في بعض أيام حياتك ينعدم الأكسجين، تنعدم كل الاشياء التي كنت تشتعل بها الأحلام، الحب، الرغبة، بسمات الأصدقاء، والشغف الكبير للحياة كلها تتلاشى من محيطك، عليك حينها أن تتوهج أن تنتج الطاقة الجوهرية أن تضيئ العالم وتمنح الورود شعاع الحياة.

تسارعت عقارب الساعة و ما زالت الوحدة سيدة الساعات، جلس جوهر مُمدِّداً رجليه على كرسيه الخشبي في حديقة المنزل؛ ناظراً للسماء حيث تنعكس صورة الفراغ منها إليه، حدق فيها وكأنه يراها للمرة الأولى وجدها كما هي صافية لا تظهر نُجومها والشمس بطلة المشهد، حان الأصيل و همت الطيور بالرحيل في وداع رواقي فاتن، ظل جوهر يجيل الطرف هنا وهناك كأنه يوزع نظرات الوداع لكل من ألهمه في يومه هذا، تذكر جوهر أن عليه الذهاب إلى صديقه (عمرو)تلبية لدعوة حضور عيد ميلاده والحفل المقام تخليدا له !لا يحب جوهر مثل هذه المناسبات التي لا داعي لها ولا سبب، لكن عمرو

كان مُلحاً عليه، كعادته دائماً لحوح في كل شي حتى في صغائر الأمور فما بالك في هذا اليوم التاريخي المجيد حين ولد المتربع على عرش الإلحاح الكاسر لأشد العزائم بلسنه !يقام الحفل في السابعة مساءً والساعة الأن السادسة والنصف !تبقى من الزمن نصف ساعة على جوهر التسرع بالذهاب وإلا سيقابل بوابل من الكلمات المؤنبة من صديقه عمرو، تسارع جوهر وأعد نفسه خلال خمسة عشر دقيقة فقط، فجوهر دقيق في مواقيته لدرجة أننا" يمكن أن نضبط الساعة عليه "[1]هو أيضاً لا يهتم بمظهره نوعاً ما يكفيه أن يكون مقبولاً فقط ويمضي الوقت بسلام، مَنْ لم يعرفه بعد يعده من الطبقة الإجتماعية الوسطى وقد ذهب البعض لإحتسابه ضمن تجمع الكادحين؛ لا نقاش هنا فهو يميل دائماً لإخفاء ثراء أُسرته وراء قناع العادية والتبسط وإن كان يفعل ذلك دون قصد أحياناً، عند الشفق ركب جوهر سيارته المنسية الغابرة بعد أن نفض غبار ايام الحزن من عليها، تحرك في روية حتى وصل صرح أُسرة عمرو، حيث الصخب والضوضاء السمعية والبصرية، أدخل سيارته عبر البوابة العملاقة بعد أن أبرز

---

[1] ضحكات كئيبة د /أحمد خالد توفيق

بطاقة الدعوة لحرس البوابة أوقفها بين سيارات مثلها وأجمل، وفجأة! دون سابق إنذار دوت اصوات مدافع !يتبعها صراخ !ثم دوي أوسع تأثيراً !ظن محمد جوهر أن الحرب العالمية الثالثة قد أُضرمت ! وسرعان ما زال الظن منه بعد أن رأى الأنظار متجهة للسماء والأعين بارقة لها تألق مسموع، الوان كثيرة إختلطت في الجو مفرقعات : خضراء، صفراء، حمراء وأخرى مبهمة اللون والكثير من الضوء يصدر عنها !إذًا فقد خاب ظنه فليست الثالثة قد بانت، بعدها تعالت ضحكات الحشد حين لُطِخ وجه عمرو نفسه صاحب الحفل بفانيليا وكريما (التورطه)العملاقة، ثم بدأ الكر والفر وسجال المترفين !هذا يندفع بمهارة وشجاعة محارب من العصور الوسطى حاملاً سيفه(قطعة التورطه المسكينة)ليدق به معاقل الجبناء المنزوين !وهذاك يتبع إستراتيجية التخفي بين الطاولات والظهور ضارباً ثم التخفي مجدداً ! إستخدم جوهر أسفل سيارته ساتراً له؛ لما رأى أن الحرب قد حمى وطيسها ووصلت ذروتها حتى أُستخدمت الصواريخ النووية الفتاكة (الألعاب النارية)ظل جوهر منستراً عن المعركة التي لا يعلم مَنْ أشعلها ولماذا يواصل إنسان الحفل فيها !بعد أن عُقد الصلح وتمت الهدنة بين الأطراف الكثيرة !خرج جوهر وأبصر نور السلام، عادت الأمور

لمجاريها وراح المدعوون يتبادلون الهمس واللمس هنا وهناك، واطراف الحديث، بعد تفحص دقيق لوجوه الحاضرين تمكن جوهر من إيجاد عمرو صديقه وقد أخفت لطخات الكريما معالم وجهه، فأستقبله باسم الثغر وهو يقول :

- مرحباً جوهرنا الجميل .

- مرحباً عمرو.

- قد ساورني شعور بأنك لن تأتي يا صديقي، لكن أسقطَ سور شعوري برؤيتك، هلم أُعرفك بأجمل الحاضرين .

- من هو ؟ !

- أخطأت . . قل من هي.

- تعرف تماماً يا عمرو أني لا أُحب الإختلاط بالناس خصوصاً في الصخب وبالأخص الجنس الآخر؟

- أعرف . . دع عنك هذا . . هيا معي.

ولمَّا كان عمرو اكثر أهل الحفل إلحاحاً ما كان من جوهر إلا تلبية رغبته، نفضا المكان نفضاً بعينهما و بين غض الطرف عن القوم ونظر

النساء وبضع خطوات باحثة وجدت الشادن في ريعان شبابها ، حين ناداها عمرو بإسمها(ملاذ)بأن تعالي تسمر جوهر في مكانه وإنقلب كونه، فتعالت في قلبه شاكي الصدى، وأمطرت سحائب جمالها أرض عينيه الجرداء، تمشي نحوهم وكأنهم ماشون نحوها في دلال ريل، من بعيد كانت جميلة مثل القمر لكن كلما أقتربت يتعالى جمالها ويسحر الأنظار كالغيث إذ إنهمر، تمعن جوهر النظر فيها فكانت سبيطة الشعر كحيلة العين لها جيد ريم وخصر فراشة، لله انسام الصباح كأنها ريح الشمال مرت بها ساكنةً قلب جوهر، تمشي كما يمشي السحاب، توزع البسمات وهي تخطو نحوهم ويرد السائلون بأن خذي القلوب سلام، لها ثغر في خلاله رِتل أسنانها كالنجوم في ليلة إعتذر فيها القمر، حورية هربت من البحر الكاريبي وإختارت سطح الأرض سكن، هي بضع ثواني وهي تسير لكنها في عالم جوهر الموازي عقوداً من الجمال والرفاهية، شبعت عيناه من بعد جوعها الطويل وأحس بمهجته عادت تضخ الدم، بدأ قلب جوهر ينبض ثم ينقبض ثم تتسارع دقاته حتى الإرتباك، هنا في اللاوعي لا يحسب الزمن بالحساب الواقعي هنا الوقت يمر ببطء حين الفرح وسريعاً عند الحزن، هبط القمر ورجع صدى صوته داخل قلب جوهر حين قالت :

- سلام.

وكأن جوهر ألم به صمم، لم يرُد وتحنط في وقفته حتى أنجده عمرو من ثباته الفرعوني بضربة صغيرة خلف ظهره .

-سـ ...سسلام !

رد كالأبله.

كتمت ضحكتها وبدلتها ببسمة راضية وسُكات حتى يستجمع المشتت نفسه، راحت تتحدث إلى عمرو بينما ظل جوهر ماخوذ النطق والقلب، حين هدأت أحواله أدخله عمرو في الحديث .

- تفضل جوهر، هذي ملاذ صديقتي قد عادت من سفر لها، تخرجت من كلية التجارة منذ سنتين بدرجة إمتياز والأن تعمل على الماجستير، أظن أنها ستفيدك في إدارة أعمال والدك يا جوهر او أعمالك إذا أحببت القول.

-تبدو على عينيها الفطنة والدهاء، بالتأكيد هي مناسبة إلى حد ما.

- شكراً جوهر.

فرح جوهر بعد أن سمع أسمه لأول مرة ينطق بهذا الجمال، ولا سيما أن ناطق الجمال أجمل، أحس بأن عليه هو شكرها لشكرها له، لكن حافظ على رباطة جأشه ثم قال :

-عفواً . . . بالمناسبة إسمي الصحيح محمد جوهر وليس جوهر فقط فهو إختصار له.

- أبي أيضاً إسمه محمد الأمين.

وهكذا دواليك من الأحاديث التعريفية والتقربية، إلى أن حانت ساعة رحيلها وودعت جوهر وداع الرفيق القديم وأكدت أنه لطيف وستتصل به في وقت لاحق .

ذهبت ملاذ برونقها فصار الحفل دون ملاذ، بدأ كل شيء بعد ذلك بالبهتان والتحول تدريجياً للرمادي، أحس جوهر بفراغ اللحظات بعد ربع ساعة من ذهابها، فودع عمرو ورجع يرسم الأحلام الوردية لمستقبله مع ملاذ؛ فقد رأى أبناءه في عينيها، رسم عليها ألف وربما ثلاثة ألف دائرة حمراء، فقد سُرق قلبه وجميع حواسه وصار بلا شئ غير التشوق والحلم، وصل إلى المنزل بينما إشتد الظلام فقد أمست الساعة الثانية بعد منتصف الليل، لا بد أن ينام؛ ففي الصباح يتوجب

عليه إيصال سديم للمدرسه فمنذ موت والدهما تولى جوهر أمر رعايتها وإحاطتها بالحب، هو نفسه يفتقد والده ويحتاج ملء الفراغ العظيم الذي حدث بعد وفاته، نام بعد قتال شديد الضراوة مع أفكاره والأحاسيس وأجل التفكير في أمر ملاذ حتى يأتي الصباح؛ فهو متعب رغم أن طيف ملاذ ما فارقه، نام ملء العين حالماً وأسدل ستار الوحدة.

بدأ الصباح بقبلة من الشمس على السحب فتشبعت ألوان الطبيعة، أوصل جوهر سديم للمدرسة وهو شارد الذهن باسماً ينظر للهاتف بين الحين والآخر، ودعها على وعد الحضور بعد إنتهاء دوامها الدراسي، أصبح هو وأحاسيسه المنتشية يتذكر حيناً وجه الملاك(ملاذ)وفي الحين الآخر صوتها الكرواني وظهورها الأرجوان، تذكر أن عليه الإتصال بنائب والده المرحوم والإتطلاع على مجريات العمل، فقد تولى أمر الشركة بعد وفاة عبد الله ابو جوهر ويُعرف عنه أنه برغماتي واقعي على أرض العمل، أجرى الإتصال الذي إستمر عدة دقائق إطمأن جوهر فيها على سير العمل .

في زاوية أخرى من العقل أخذ جوهر يفكر في الشادن سارقة الأفكار والمشاعر وهو يراقب الهاتف ترقباً لإتصالها اللامعلوم !رغم ذلك مر الوقت عليه عادياً و لم تنتابه هستيريا الترقب .

في السابعة مساء اليوم الضاج بالأحاسيس حضر(شريف زاهر)جده لأمه المحبوب صاحب(الزهايمر الجزئي)حيث أصيب بخلل في الذاكرة منذ سنوات وأصبح لا يتذكر ماهو إسمه وما تاريخه ولا في اي دولة هو، أضف إلى ذلك أسماء الأخرين و ما هي علاقتهم به و أسماء المناطق إلا تلك التي تدل على شئ حقيقي، كان الزهايمر يسيطر على المفردات الغريبة لديه وهو أغرب منها !شريف زاهر كان أستاذًا في الفلسفة و علم النفس كان مجنوناً في العلم وهذا الوصف دقيق جداً له، حتى أصيب بالزهايمر، إستقبله جوهر وحياه وأكرمه وبعد جلوسه نطق أول كلمة منذ حضوره:

مَنْ انت؟

وهو يشير إلى جوهر في نظرة ثابتة من اعلى نظارته .

-أنا محمد جوهر حفيدك !

- أخطأت !انت إنسان.

- أنا إنسان وإسمي محمد جوهر .

-لماذا أنت إنسان؟

سكت جوهر ورفع كتفيه اي لا أعلم.

اضاف الجد:

- أنت إنسان لترتقي بالطبيعة وتتعايش معها وترتقي بالإنسان نفسه وتكتشف السر .

-و ما هو السر؟

-هو سرك، ولكل منا سره الخاص المتناسب وإنسانيته ، عليك أن تعرف السر.

- حسناً .

-لا تبحث عن سِرك في الآخرين ولا في نفسك ولا الطبيعة أبحث عنه فيهن جميعاً !

-لم أفهم؟

-ولن تفهم.

ثم نام على كرسيه المتحرك دون سابق إنذار وترك جوهر يجمع افكاره المُنهكة.

عليك دائماً إن أردت غزو قلب شخص أن تعرف تاريخه وشخصيته وحياته مجملاً وتفصيلاً، يموت الحب حين الجهالة الفاحشه فتفرض الفرضيات نفسها على الحقائق.

خامس شروق للشمس في نوفمبر، والضحى يلفظ أنفاس الصبح الأخيرة، ما زال جوهر مبهور القلب بها، إن القلب يمتلك العقل أحيانًا، الأثنان يناديان بإسمها ويطلبان حضورها لتأخذ من كل هذا الحب

المكتنز في صدر جوهر، الكريم يهدي مشاعره للناس والإبتسامة عنوان وجهه وجوهر كريم القلب، فجأة !يرن الهاتف وكأنه أجراس كاتدرائية القديس كالموه، لم يفكر جوهر كثيراً في من يكون المتصل صاحب الرقم الغير مُسجل؛ فإن لم تكن هي فهو يريدها هي ولا معنى لشخص آخر، يرد على الإتصال بصوت هادئ:

- السلام عليكم.

يرد صوت له صدى في القلب دائماً :

- هلا.

وكانت هي!

يسكت جوهر لبضع ثواني يبتلع فيها رضابه .

-هذه أنتي !

-نعم انا هل كنت تنتظر غيري؟

- لا فقط لأتأكّد وأطمئن .

-إطمئن هذي انا على وعدي بالإتصال بك، أظن أن المكالمات الهاتفية لن تمنحنا فرصة التعرف عن قرب؛ لذا فالنلتقي في المقهى القريب من منزلكم إن لم يكن هذا يزعجك .

- يزعجني !فالنلتقي على اسرع وجه.

-إذًا أُخرج الأن وستجدني عند الطاولة الثالثة في المقهى.

لم يتصور جوهر هذه السرعة في التقدم، لكن وما المشكلة سيخرج على الفور.

- دقائق وسأكون معك.

أغلقتَ الخط . . . وقف جوهر لوهلة غير مصدق ما يحدث وظن أنه محض خيال، لكن سرعان ما إنتبه أنها ستكون وحيدة إن لم يذهب بسرعة، فذهب، هبط الدرك مسرعاً ومسارعاً حتى وصل لحديقة المنزل وخرج بعدها أشد سرعةً ودقات قلب . . حتى وصل باب المقهى، لم يكن جوهر من معتادي تجميع الكلمات لتداولها في الحديث فقد كان يتعامل مع المواقف كل منها على حدى؛ لذا دخل المقهى دون اي تردد، تأمل المقاعد خادعاً نفسه بأنها ستراه ويوهمها أنه لا يتذكر أنها في الطاولة الثالثة !حتى قاوم قلبه خدعته ونظر

للثالثة، نفس الشعر حالك السواد وقد لمع وسط اضواء المقهى الملونة عرفها منه فقد حفظ تفاصيل شعرها شعرةً شعرة، مشى في تمهل حتى لا يفزع الريل شارد الذهن، ثم عند الإقتراب اصدر أصواتاً برجله لتحس بوجوده لكن لم تلتفت ولم تنتبه لحضوره الملكي إلا بعد أن قطع شرودها جلوسه على الطاولة، إلتقت عيناه الجوهرية بعينيها البارقة، وتصافحت الأعين في سلام رتيب، حينها نطقت ملاذنا بالسلام ورد جوهرنا السلام، فإبتدأت الحديث بقولها:

حضرت بسرعة . . لم أتوقع ذلك !

-القلب كثيراً يسارع النبضات حين يشتهي الطريق.

- لم أُخطئ الظن فيك حين قلت أنك لطيف.

-اللطف ثمرة الحب وطفرة روح الإنسان سيدتي.

-عرفني عليك أكثر وعلى عالمك فإن اقوالك تعجبني وأُريد معرفتك أكثر فمنذ مجيئي إلى هنا لم أتعرف على شخص جميل الملامح واللسان.

- هذا من لطفك وجمال قلبك الذي يليق بعينيك، أما عني فأنا إنسان قد وُلدّتُ من رحمِ التجارب والحنان، أعني أني بشر قد تعلمتَ روحي المشي وعلمتها التماشي، التربية الصحيحة والمناسبة للبشر تنتج الإنسان، وبما أن أبي وأمي تحملا تربيتي فهما الحنان الذي أحتاجه دوما وافتقده.

- وأين هما الأن؟

- أبي رحمه الله صعد إنسانه للسماء، أما جسده فقد إختار عمق الأرض سكن، أمي رعاها الله جالسة هنا بين قلبي وجسدها في المنزل يرتعش خوفاً من المجهول.

- وما المجهول؟

-الأيام ومشتقاتها.

-حسناً، ما سر إسمك الفريد؟ وكيف كانت حياتك العاطفية؟ وما نظرتك للناس؟

- يكذبون، أصعب شئ عندما تكون غنياً هو أن الناس يكونون لطفاء . .الجوهر هو عمق الجمال وعبق النجوم . . لا توجد حياة الأن غير عينيك وبعض صفحات الذكريات المؤلمة.

-كل هذا الألم! أنت لا تستحق أن يمس قلبك حزن، لو كنت مكانهم لتعاملت معك كما تعاملني وسأفعل كل ما أستطيع لأجلك.

-كلها تجارب تحفظ النفس لمن يستحقها .

- ولن تذهب النفس إلا لمن يستحقها، سأحدثك عن نفسي إذاً" انا إبنة الزمن المتهالك الرجعي، قد كنت أعيش في هذا البلد لكن ما يحدث من رجعية جعلني أتنقل في بلدان أكثر تطوراً، إكتشفت أن عالمنا ليس كعالمهم فهم إرتقوا بالإنسان لأعلى درجة من الأنسنة، حتى الحيوان كاد أن يكون إنساناً !الحياة ليست كما هي عندهم فنظرتهم مغايرة تماماً، يحترمون المرأة حق إحترام لدرجة أنها لو خلعت ملابسها وتمشت بينهم فلن يمسها أحد !كل شخص حر فيما يفعل ما لم يضر بالآخرين، العلم هو البرهان ولا عزاء للغيبيات، تشبعت بالمفاهيم وانا اليوم أكثر درايةً وعلماً من زي قبل، عمري ثلاثُ وعشرون سنة "

يضيع جوهر في عينيها ويكفيه من كلامها أنها تداعب قلبه بصوتها الكرواني، فيرد سائلا :

-وما نظرتك للدين، الدولة، الشعب، العادات والتقاليد، الحب[i]؟

- اللاهوت كله لا دليل قطعي عليه ولا من أين جاء !أعتقد أن الدين هو افيون الشعب كما قال ماركس؛ فهو المخدر الأول للشعب حين يشتد الألم وتكثر الأزمات، الشعب والدولة كلمة واحدة لها معنى واحد، فالإنسان وطن والوطن إنسان والشعب إنسان في أبدان كثيرة، العادات هي ما درج عليه الشعب او بعض الناس وهي في المرحلة القديمة تقاليد فكلما رسخت العادة صارت تقليداً، الحب ورقة بيضاء تشتهي الرسام وخط القلم ونحن من يبدع فيها او يعقدها فلكل منا نهجه وتصوراته وأحاسيسه.

- هذه وجهة نظر ماركسية، السياسة هي عدو كل شي وأكذب لسان، ما يفعله السياسيون اليوم بإسم الله والدين يكاد يكون افيوناً او سماً.

- لابد من إقتلاعهم من تلك المناصب فهم لا يحسنون شئ فقط يقتلون الوطن بهذه السياسات، لابد من ثورة .

-لابد من ريح تُبدد الغيوم كما تقول أختي سديم.

- يبدو أنها ذكية أود التعرف عليها وعلى أمك.

- ستتعرفين عليهم في الوقت المناسب.

- حسناً لقد تحدثنا كثيراً وإستمتعت بهذا اللقاء لكن علي الذهاب.

قال جوهر وهو يرتشف القهوة الساخنة:

- سنلتقي مجدداً.

ودعته وذهبت إلى اللامعلوم في خطوات رواقية فاتنة، جلس قليلاً يتأمل المكان الخاوي منها؛ أحس بالفراغ فقرر الرجوع إلى المنزل في خطوات بطيئة وقلب وعقل شاردين، دخل المنزل وجلس في الحديقة على كرسيه المفضل يتأمل اللاشئ، مضت نصف ساعة وهو جالس حتى قطع جده الجلسة بصوته المُتلاشئ:

-ما الفرق بين الإنسان والبشري؟

قال جوهر وهو يعدل جلسته:

-كلاهما واحد!

-الإنسان هو النسخة المحسنة للبشر البشري مجرد حيوان يعيش ويأكل ويظل حيواناً ما لم يطور نفسه.

-ماذا تقصد بحديثك يا جدي؟

- أنت يا إنسان يتوجب عليك تحسين نفسك فالعالم متجدد لا يحارب بالنسخ القديمة.

- وماذا أفعل؟

- لا تفعل ما يقتل إنسانك فقط.

ثم دخل المنزل دون أن يترك لجوهر فرصة الرد.

بعد ذهاب الجد شريف زاهر جلس جوهر يقلب قلبيه وهما قلبه وعقله اللذان صارا قلباً وغالباً، بدأ السحاب يسارع الخطى في السماء مبتسماً وملوحاً بالودق الخارج من خلاله، إنسجم جوهر مع جو الطبيعة الخلاب دائماً وعيناه تنظر للوجود ببهجة وقلبه يرسم الملاذ على ورقة السماء، ولما أشبع نفسه من الطبيعة كانت الشمس الباسمة ترحل في دراما سعيدة، دخل صالة المنزل وجلس يتناول الطعام مع أُسرته وكله فرح وإنبساط.

"تلك السمراء تشبه القمر في ليالي نوفمبر الهادئة، وحدها تضئ أرضاً عسعس ليلها وتمادى في ظلامه، أُحسها تتوقل في سجايا قلبي توقد

ناراً وتتوهج نوراً، سمراء البستها الشمس الوان الجمال وأنحنت تحتضن أرضنا في شعاع النور المنعكس من بريق الناظرين "

وهو جالس على الشرفة كتب جوهر هذه الكلمات وكله شوق لرؤية عيناها وتبادل أطراف النظر، ثم فكر أن يتصل بها ليطمئن، وهذا ما حدث بالفعل فقد إتصل وأخبرته أنها بخير وأخبرها بأن اليوم كان من أسعد ايام حياته إن لم يكن أسعدها، ثم تواعدا على التلاقي غداً حين تقترب الشمس من الرحيل وتصير أكثر جمالاً، إستمر الإتصال حتى ساعة إنتهاء الساعات، تحدثا فيها عن الحب الحزن الحرب الأسرة الثورة الوطن الخيانة والدين حديث العارفين المتعمقين، بعدها نام جوهر في سكون.

إستيقظ جوهر متأخراً خلاف عادته صلى الصبح وبدأ صباحه كما يحب أن يكون، أوصل سديم إلى المدرسة ثم إتصل بعدها بوكيل شركة والده(رضوان علي)واجرى الحوار التجاري المعهود حيث أبلغه السيد رضوان بسير العمل على أكمل وجه، عاد للمنزل فحضرت له الأم الإفطار وجلس بعدها يشاهد التلفاز(أظن أن من إخترعه لم يكن يعلم أن مثل هؤولاء سيظهرون عليه ويستخدمونه أسوأ إستخدام)قال

جوهر في نفسه هذا وهو ينظر بعين ساخرة للقاء رئيس الجمهورية التلفيزوني وما فيه من دعاية رخيصة وتبرير سياسي تافه، البروبغاندا هي توجيه نظر الجمهور وإخضاعه للتنويم المغنطيسي عن بعد، كلنا نعلم أن في وطننا هذا يموت الأطفال في ضواحي الحرب او التشريد والكبار يضيع عقلهن لفرط التفكير في العيش لكن الرئيس يقول أن لا شي مثل هذا يحدث *!محض إفتراءات !*ويسأله مقدم البرنامج وكأن السؤال بيت شعر يمدح الرئيس:

- وما هي تطلعاتكم للفترة القادمة خصوصاً أن البلاد تعيش أسعد أيامها وذلك بفضل سياستكم الرائعة؟ رائعة يردد جوهر الكلمة ويضحك هاهاها *!يرد* الرئيس:

- نحن نسعى دائماً للصعود بالبلاد إلى قمم الأقتصاد والرفاهية، الشعب هو ملهمنا للتقدم ولأجل الشعب نعمل الله أكبر الله أكبر.

وتردد اصوات لا يعلم احد مكانها:

-الله اكبر الله اكبر.

الدين ليس افيون الشعب البروبغاندا هي الأفيون وتسليط الضوء هو الكذبة الماكرة، التكرار لا يعني الصحة، شيوع المفاهيم وتوحيد الرأي

لا يعني أنهم على حق، وهنا يزور طيف الخيال قول العقاد" لو أن الف أعمى قالوا إن الشمس غير موجودة، و قال واحد مبصر إنها ليست كذلك، فهل هو على خطأ وهم على صواب "

الكثير ينخدع وراء الكذب الشائع والأوهام الممنهجة اظن أنه سيحين يوم ينكر البشر فيه وجود الشمس وهي أعلى رأسهم !ويختفي واحد العقاد الذي يقول إنها موجودة.

أغلق التلفاز وهم بفتح مكتب ابيه ليطالع بعض الكتب علها تخفف عليه ألم الجهل وتنجيه منه، الجهل ليس عدم العلم هنا، بل الجهل هو الجهل بالأشياء التي لم يعلمها بعد، جالس الكتب وداعب الصفحات وقلبه ينظر للكلمات الجميلة وكأنها هي(ملاذ)فكلما أحببت شخص تجده بين كل شئ، الأسطر الفراغات الضحكات اللحظات عيون الأطفال السماء الواقع والخيال.

حضًر جوهر نفسه على غير العادة، وأمسى ينظر للهاتف في ترقب منتظراً الإتصال الذي يبدد أجواء الإشتياق، أخذ يلهو قليلاً ويفتح التلفاز ثم يغلقه يذهب للصالة ثم يعود في حركات لا معنى وهدف لها، إقتربت الدقائق من ساعة الموعد فما كان للهاتف إلا أن يهتز فرحاً

بإتصال رفيقة الخلاص، أعطته صافرة الإنطلاق فذهب جوهر في تدحرج مشاعري سريع إلى المكان وكان البحر، ليس هناك أجمل من البحر في ساعة الأصيل وانت جالس على ضفته تتأمل اللانهاية إلا علاقة حب لانهاية لها، وبينما الأمواج تتسابق للشط وترتطم بالحواجز الإسمنتية التي تحول دون حريتها البحرية حضرت عروس البحر من خلف جوهر تعتليها البسمة ويُغرق سحر عينيها أمواج البحر نفسها، حين يتنافس في الجمال البحر وعيناها تفوز عيناها بلا نزاع، أخذ قلب جوهر يردد هذي الأحاسيس ولو كانت غير مرتبة في الداخل، سرقت جمال البحر بعينيها فصار جوهر يحدق فيهما ويبتسم إبتسامة المكتفي العاشق، حيته وجلست بجانبه ورد التحية، تبادلا بعض الحديث والقليل من ذكريات البحر ومواقفه، قالت ملاذ وهي تتأمل حال البحر العاجز أمام الحواجز الإسمنتية:

-ياله من مسكين قُيّدوا حريته ومنعوه من إطلاق امواجه فأصبح محجوزاً في هذا النطاق فقط!

فتح جوهر عينيه متعجباً؛ لأنها نفس فكرته(يبدو أن هناك توافق روحي بيننا)فأعتلت محياه بسمة عميقة وقال:

-لو أنهم تركوه يمارس حريته لأغرقهم إنهم يخافون حتى من البحر المسالم!

-لقد حدوا من حرية الشعوب ولم يسلم الطير في السماء من إنتهاكاتهم السافرة !

- لابد من ثورة كبيرة ضد كل شئ وضد اي شئ يحول دون الحرية !

- الثورة قادمة لا محالة وحينها سنتمكن من التعايش والتفاهم الحقيقي.

ثم صار الحديث على جانب مغاير تماماً وهو جانب العمل فقد كان هو السبب الرئيسي والجامع لهما منذ أن إلتقيا في حفل عمرو رغم أن جوهر لا يرى أن هذا هو السبب، حدثها عن الشركة ووكيلها وأرباحها ورأس مالها وكل الأرقام الدقيقة، لم تتفاجأ ملاذ كثيراً فهي تعلم جيداً الأعمال التجارية ولم تكن الأرقام حاجزاً لها فقط ظهرت علامة تعجب حين ذكر جوهر رأس المال !لقد كان رأس مال الشركة خيالياً يعادل قيمة عشر شركات للذهب مجتمعة، تحدثا كثيراً عن الأرقام لكن الشئ الوحيد الذي خرج خارج نطاق الحديث هو الحب، مشاعر جوهر

لم تستطع التحدث فقد إكتفى بالنظر إليها بين الحين والأخرى وعندما تساله ماذا تريد أن تقول يكتفي بلا شئ.

أعلن الشفق ذهابه وحضر الغسق بثوبه الأسود مجرجراً خلفه باقي الثوب شديد السواد؛ فتعجلا المغادرة وراحا يتجولان على متن السيارة حول البلد بين الشوارع المكتظة بالشباب من نفس اعمارهم وما يقاربها، منفردين او مجتمعين او مختلطين تكتسي البلد بشتى أنواع التجمعات سعداء بالحرية التي يسرقونها من أعين اجهزة الدولة، في زقاق لا ترتاده الخطى كثيراً ويغطي الظلام ما فيه إجتمع عاشقان يتسارقان القبلات الخائفة في مشهد يدل على عدم الخبرة في مجال التقبيل وعدم إحترام خصوصيات الشارع، تختلف الأسباب لكن السبب هنا واضح؛ لأن افكار ليست لنا دخلت علينا وأصبحنا نرتدي العمامة مع البنطال الضيق، الحجاب مع الموضة الفاتنة !كطائر يريد التحليق بجناح واحد.

وبين كل المناظر تعلق ملاذ ساخطة الدولة ونظامها الدكتاتوري وكبت الحريات، فإن السبب الأول يرجع للدولة سيئة السمعة، ولمَّا كان جوهر من أعداء الدولة الساكتين تفاعل مع بعض تعليقات ملاذ رغم أن

وجهة نظره تأخذ مناحي أخرى من الإنتقاد وتنتقد عمق المشكلة وليس الشكل، مرت الساعات سريعاً، اوصل ملاذ بالقرب من منزلها حيث وقفا قليلاً يعبران عن مدى جمال اللحظات ثم ذهب كل منهما في طريقه.

عاد جوهر للمنزل والسعادة تقفز من وجهه، لا يرغب في الحديث مع أحد؛ فخيال اللحظات يداعب قلبه وطيف المحبوبة يلهو و بنات افكاره، قطع خياله المرهف صوت سديم وهي تسحبه من يده وتقول:

- مرحباً جوهر تعال وانظر مَن أتى إلينا!

- ومَن الذي أتى؟

- منى.

جوهر وعلامات التعجب والحيرة تتقاسم ملامح وجهه:

- ماذا !منى!

يرد صوت له ماض في قلب جوهر:

- نعم انا.

حينها بان مصدر الصوت !فتاة من حوريات البحر تقبل قدماها أرض البشر، كأن صوتها رنين دراهم في أيدي المحتاجين كهمهمات المتعبدين في آواخر الشهر الكريم، لا تقاس بمقاييس الجمال المتداولة، فريدة الشكل لو نظر الجمال إلى جمالها لستحى من جمالها، تكتسي السواد ويشع وجهها نوراً وكأنها القمر في ليلة ليس فيها نجوم، لا تشبه شئ غير نفسها، وقف جوهر حائراً لاينطق وبدأت ذاكرته تسرد الذكريات المعطرة بعبق الريحان، أيام الطفولة واللعب على ضوء القمر، الضحكات الصادقة، والوعود القديمة، المشاعر المُتأججة كلها مرت أمام عينيه حتى اللحظة التي ودعها فيها وهي مسافرة للدراسة خارج البلد، ظل جوهر شارد الذهن ولسانه يتحدث نيابةً عنه، حتى إستجمع قواه وتحدث :

- متى عُدّتي؟

- قبل قليل . . فقد جئت وكلي أسف لوفاة أبي المفجعة.

- كيف كانت رحلة دراستك؟

- كانت جيدة رغم أني افتقدتكم كثيراً وأحزنني جداً ما حدث لوالدك، لم أُصدق أن علي يمكن أن يصل به الحد لفعل ما فعل!

- قدر الله وما شاء فعل، كلنا حزن على هذا، لكن اين ما ذهب سأجده ولن يرحمه مني أحد.

-لا . . عليك أن تدع القانون يقتص لك، لا حق يأتي بالهمجية.

- حسناً وفي قلبه عكس ذلك لكن أراد إنهاء الحديث المؤلم، بعدها ذهب إلى غرفته متعب الجسد والأحاسيس، أخذ يقلب ذاكرة الماضي الجميل، بعض الأشخاص يستطيعون الخلود في الذاكرة بمواقفهم المبتسمة وجمال روحهم المستمر، ومنى خلدت هنا في قلب جوهر؛ فقد كانت أميرة جوهر ومرجع قلبه، لا ينسى كيف رفضت حب علي لأنها ومنذ صغرها تعلقت بروح جوهر لا لأنها تكره علي فقط هي لم تحبه رغم أنه أظهر لها من الحب كل شئ، على الرغم من هذا إختارت جوهر، وكان الحدث هذا عنوان الخلاف الدائم بين الأخوين، حتى قررت منى السفر للدراسة بالخارج؛ لتبتعد قليلا عن جو المشكلات، كانت تراهن دائماً أن جوهر يحبها وجوهر يحبها فعلاً وقولاً، لكن البعد قد أرهق كاهل الحب؛ فما كان من جوهر إلا أن يكون وحيداً، أربع سنوات كانت موحشة بالنسبة له فقرر الإنقطاع حتى تعود الأيام كما كانت، وهاهي الأيام عادت بحنينها وحبها وشوقها، أمعن جوهر النظر

في حال قلبه هل يختار الملاذ ام المنى؟ !أصعب إختبار هو أن تخير بين شيئين اليمين او اليسار؟ خصوصاً لو كان الإختبار في القلب ! الحب دائماً يضع الإنسان في مواقف حرجة تبين له أن من السهل حُب أحدٍ ما، لكن من الصعب الحفاظ عليه، خلد للنوم وقرر تسليم الأمر للأيام فهي كفيلة بإثبات كل شئ.

منى هي إبنة العم الوحيدة لجوهر، حيث توفي والدها وهي في الرابعة من عمرها فتكفل عمها عبد الله بتربيتها وكان هو الأب الذي عرفته دائماً يغمرها بعطفه وروحه الطيبة، لم تحس يوماً أنها فقدت الأب إلا عند وفاة عبد الله ابو جوهر، تمتلك أملاك لا حصر لها فهي الإبنة الوحيدة لعمر عم جوهر، تولى عبد الله أمر تربيتها ومالها وكان وصياً عليها، منذ صغرها كانت تعرف جيداً أنها لجوهر وليس لها حب غيره، ملتزمة بدينها صائنة لنفسها ولشرفها، وهي بعيدة كانت تعد الليالي حتى ترجع إلى حبها القديم وموطنها الحقيقي، الكل يعلم أن منى لجوهر وهو لها ولا شك في ذلك، تثق مطلق الثقة بحبها وتمني النفس أن تجتمع به في الحلال ويُمضيا بقية العمر معاً، الزواج هو التتويج الجميل للمشاعر والدليل القاطع في الحب.

العاشر من ديسمبر وصباحه البارد، الريح لها هزير يُشيخ المسامع، وذاك الهزار يغني المقاطع، لبس جوهر ثوبه القطني الأبيض وجلس يتمتع بأشعة الشمس الدافئة في حديقة المنزل وعلى الكرسي نفسه، تجول به الأفكار والمناقشات القلبية(منى !الوقت ليس مناسب أبداً لحضورها، ملاذ !تلك السمراء صاحبة العينين البارقة)يتشاور هو ونفسه في أمر قلبه وأزواج الهزار تغرد فوق النخيل، فراح يردد:

- الأيام ستختار الأيام فاصلة ...!

قطعت الحيرة أصوات قادمة من داخل المنزل !يبدو من تقطعها أنها تضحك او تمرح، ولم تكن الأصوات سوى سديم ومنى خرجتا إلى الحديقة، جلست سديم بجانب جوهر وسلمت منى عليه في حياء وأدب لا مثيل لهما، جلست على مقربة منهما وبدأت تسأل جوهر عن أحواله وايامه والكثير من الأسئلة المتلهفة، يرد جوهر في بطء وصوت بارد رغم محاولاته إخفاء ما به لكن تظهر عليه علامات الشتات، لم تسأله عن حبهما ولا الوعود فهي لم تفكر حتى في شئ يغير الإجابة المعهودة منذ الصغر، ولن تسأله ابداً؛ لحيائها الشديد فهي دائماً ما كانت تتملص من الكلمات التي لها معنى في القلب رغم حبها

الشديد لجوهر، كانت تمثل الكلمات على أرض الواقع فقط تتحدث بالأفعال وتعبر عن مشاعرها فعلاً.

الثانية بعد الظهر في عاشر ديسمبر البارد وقد تغلبت الشمس على برودة الجو، على إثر مكالمة هاتفية من ملاذ تحرك جوهر للمقهى المعهود، وجد ملاذ ومجموعة من الشابات والشباب يجلسون حول طاولة ويتحدثون عن أمور يبدو أنها سياسية او أدبية الأمر مختلط، جلس جوهر معهم بعد ترحيب ملاذ به وتعريفه، واصلوا حديثهم حول النظام الظالم والثورة القادمة لا محالة فقد شهد اليوم إحتجاجات صغيرة في ضواحي العاصمة والأقاليم، تم فيها حرق إطارات السيارات وإرتجال بعض الهتافات المعادية للنظام، قال أصغرهم :

- الثورة دنت للشعب وقد حان الأوان لينتفض ضد الظلم والعدوان .

رد آخر :

-سننظم موكباً تهتز الأرض تحت قدميه ليعرف الظالم أن السقوط قد حان.

قطعت ملاذ خشونة الأصوات حين قالت:

- لابد أن يعرف شعبنا الجرائم السافرة التي إرتكبها النظام، لابد من الوعي الثوري الوعي اولاً.

إكتفى جوهر بقبول ما قد قيل، فهو يكره الرئيس وايضاً لديه في اللاوعي بغض كبير للنظام لا يستطيع ترجمته للواقع، فقط يكتفي بالقبول.

إنتهى النقاش الذي كان في خواتيمه عند وصول جوهر، خرج جوهر وملاذه بعدها يقصدان البحر، حين إنفرادهما أحس جوهر بالحرية اللفظية، عندما تجتمع ومن تحب سيتحرك لسانك كثيراً يحكي أشياءك التي لم تحكى :مشاعرك، أحلامك، ضياعك، اسرارك . . . إلى أخرها، تحكيها دون شعور وبلا تردد، أخذت تستمع ملاذ لجوهر في تفهم وإهتمام كبيرين، رغم هذا لم يستطع إخبارها بمنى؛ فهو لا يريد قتل حب لم يتنفس بعد، راحت تحكي عن الثورة وضروريتها، لابد من إقتلاع الدكتاتور وقتل الكلاب التي تحرسه، تغيير النظام، الحرية والسلام، لابد من مقاومته بكل الطرق والسبل أن يخرج الشعب له من كافة الأرجاء والفجوج والضواحي من القلاع والسواقي؛ معاً ليسقط الطواغي، لابد أن يعيش الشعب حراً او يموت حُر !إزداد إعجاب جوهر

بها فهي تترجم ما كان في نفسه من أحاسيس(هي إختياري بكل تأكيد)يسر بالكلمات وترتسم بسمة لها معنى على وجهه(الحب قادم لا محالة، علي أن أقاوم خوفي وأُسقط نظام قلبي الظالم؛ لأحظى بملاذي الهاني)تمتم ببعض الكلمات ثم تراجع عن قوله لرهابة المشهد، تحدثت معه حول العمل فأخبرها أن وكيل الشركة يرغب في سكرتيرة نشيطة ومثقفة ولا أظن أن أحداً غيرك يستحق المنصب؛ لذا سأرافقك للشركة غداً وتتعرفين على معالمها وتقابلي السيد رضوان علي ليحدد موعد إستلامك للوظيفة، كادت الفرحة تطير من عينيها وعانقت جوهر الذي إرتبك إثر العناق عانقته عناق الفرح، ثم أوصلها بعد ذلك لمنزلها على وعد الحضور لإصطحابها في والصباح.

الحب وعد والوعود يوفيها الرجال، هو بروج تبنيها اللحظات تجملها الذكريات.

جوهر وقبل عودته إلي المنزل فكر في حبه القديم وكيفية الإنسحاب او إبقاء الحال على ما هو عليه من تشتت؟ ملاذ وبكل جمالها وحلو لسانها لا تقارن بمنى وسنينها، منى وذكرياتها لا تكفي لقتل حب قد خلق في رحم القلب، الأيام ليست حل للمشكلة بل هي المشكلة(لابد

من قرار يريح قلبي)وفي لحظة !وجد نفسه أمام المنزل وفور دخوله وجدها أمامه وكأنها تقول انا الخيار بخمارها الأسود كمقلة الغرير ووجها المشرق المتبسم، حيته وحياها، جلسا في الصالة المتوشحة بالوان الطيف لوناً لون على الكراسي المرحبة بالجلوس، بادر بالحديث سؤالاً عن حالها:

- كيف حالك؟

-أحسن حال والحمد لله على كل حال.

- أين امي؟

- ذهبت وسديم إلى السوق تبتاع بعض الحاجات.

- حسناً.

ثم فكر وهو يسرق النظر لعينيها القمرية وقال:

- كيف حال وعدنا؟

وردة قد رويت وألهمتها الشمس نوراً كانت وجنتيها حين قال، إستحت ونظرت للأرض في تودد لتجيب عن سؤاله قالت الأرض:

- كما هو.

وفجأة !أمطرت سماءها لؤلؤاً شوقاً للأرض المشتاقة، وإنفجرت في سيل من الكلام السجين الذي سجنه البعد وحكمت عليه الأيام، تبكي البعد، مرارة الساعات بلا جوهر تبكي ظلم اللحظات التي لا تحتويه جمر الوعد القديم والحفاظ عليه، قالت ما عجزت عنه طوال عمرها، فقدت الأب والأم وهي صغيرة وعوضها الله ثم فقدت الاب ثانيةً وإبتعدت عن حبها ثم عادت، هو لها الأن كل شي وأمل، ما كان من عين جوهر إلا أن تدمع وقلبه يسمع

- كل هذا ! امسحي دموعك فإني سابكي مثلك، هل تحبين أن تريني أبكي؟

وهي تمسح دمعها حيث تكتم يدها صوتها :

-لا.

ثم أسرعت بعدها لغرفتها تفرغ شوقها، وجلس جوهر مبهوراً ضائعاً في ضروب القلب .

كل هذا كان خلف نقابها !واي نقاب يستر قلبها، خانتها الكلمات وغدرت دموع العشق بها، فما كان منها إلى أن تحطم حواجز كبرياءها، وينطق

دمعها بما عجزت عنه حروفها، وبينما جوهر مأخوذ العقل والبصر حضرت أمه وسديم، قالت الأم:

- ما بك؟

-ما بي شئ.

ذهب بعدها وكأن الهم همه وحده، ذهب لغرفته وعلى السرير سقط، ظل غافلاً لمدة لا يدري ما حوله ولا يدري حوله ما عليه، وضعته دموعها في مأزقٍ، ولا يعلم كم من الدموعِ سقطت قبل ذاك، ظل يخيط الفراغات، بل يعيد الذكريات، من أقدم ذكرى يتذكرها لطفولته السعيدة؛ كانت هي موجودة فيها(منى !يا لها من منى)مروراً بالصباحات الندية الطالة من كوةِ الأمسيات، إلى واقع الحياة في بداية الربيع، إلى تغير صوته للخشونة بعد الترنم الطفولي ورِقة صوتها بعد رِقته، كانت هي الرفيقة في كل ذواكر اللحظات، حتى البعد والذي هو سلاح الفراق ذو الحد اللين و الحاد، إما أن يسوي الحب او يقتله؛ الأمر متروك لحامله.

زاد السهاد سهاداً عليه جوهر لم يظن يوماً أن هذا الحب يقتاد القلوب إلى الضياع، وهنا الضياع يحن عليه بغفلة عينٍ تنقذ العقل من ما يفعل القدر.

الحادي عشر من ديسمبر، مجدداً الطيور تغرد وأنفاس الصبح في برودها، إستيقظ جوهر والفتور يتملك جسده وبعض الألم في معدته يمنعه من القيام، بعد تفكير وصراع مرير مع الألم قرر جوهر النهوض، هو لا يستطيع ذلك ولو كان اليوم غير هذا اليوم لما نهض من فراشه؛ فقط لديه موعد مع ملاذه يجبره على تخطي هذا الألم فمجرد التفكير فيها يمنحه القوة، في الصالة وجد سديم تقرأ مجلة(ميكي)التي أتعبها الغبار وهي تتجول من الرفوف إلى الكفوف، وجدها هادئة قبلها من خدها وسلم على أمه التي ردت في برود، ذهب إلى غرفته مجدداً وإرتدى بدلته السوداء الرسمية التي توحي بأنه زعيم من زعماء المافيا؛ وذلك لرشاقة جسده وقوامه الرياضي وعينيه البنية الهادئة، نزل إلى الجراج ليختار السيارة المناسبة لهذا اليوم وبعد تفكير عميق أيضاً قرر الذهاب بالمرسيدس سيدانA ؛ فهو يحب المرسديس لدرجة أن الجراج كله من هذه الشركة فقط كان يفكر في اي نوع من المرسيدس سيكون مناسباً، سيدان والرمز A بلونها الفضي وشكلها

الرواقي الفاتن والأريحية التي تجدها في الداخل هو كل ما ينقص جوهر في هذا اليوم بعد رؤية عيناها، تحرك ببطء ليلقي التحية على حراس الباب الذين ما عاد يفرق بين أشكالهم المتقلبة، فتحوا الأبواب بالهدوء ذاته الذي يعتلي نظرات جوهر، خرجت المرسيدس بمظهرها الفاتن تتنفس أجواء المدينة تتحرك بروية وفتنة فتاة في العشرين من عمرها فتاة لها من المحاسن ما لا يعد، قادها بالهدوء ذاته الذي فتحت به الأبواب حتى وصل مسكن ملاذه، مجموعة من الأطفال يلعبون الكرة وقفوا ليلقوا ببعض الشتائم التي علمهم الشارع إياها على جوهر؛ لقطعه لحظة جميلة من مجريات المباراة إن لم تكن أجملها، مراهقات على إحدى الشرفات يلوحن بأيديهن لجوهر في إشتياق للحب لا يوجد إلا عند المراهقات، وتلك الجميلة تستعرض صوتها الأنوثي على مسامع جوهر عله يجاملها بالنظرات، وما بين هذا كله وقف جوهر ينظر إلى باب ملاذه حينةً وإلى ساعته في الحينةِ الأخرى، عاوده الألم وهو ينتظر نزول الغيث من سمائه، ولم تكن إلا لحظات حتى ظهرت الملاك بجناحيها ليطير معها قلب جوهر، بنفس ذلك الوجه المفعم بالحيوية ولونها الذهبي وتلك الأعين الهادئة المرقشة بالجمال حضرت الملاذ، بجمالها وشعرها الحريري المتراقص

مع النسيم وتلك الإبتسامة القاتلة نفسها وقفت أمامه وبالحضن ذاته الذي إفترقا عليه إستقبلته وقالت بصوت أنوثتها الصباحي:

- صباح الخير جوهري العزيز.

وكما هو حاله دائماً . . . إرتبك ثم توقف ثم رد:

-صباح النور على قلبك.

- هل ستقف هكذا . . هيا لنذهب فالوقت يمضي.

- أعذريني فجمال عيناك يحتاج الكثير من الوقت لتأمله.

ركبا السيارة وتحركت بهما إلى مقر الشركة الرئيسي، دار حديث بينهما ولكن كان مجرد حديث إستفساري عن الشركة والعمل لا شئ يذكر، نزلا قبالة المدخل الرئيسي حيث الحرس الكثيرون والموظفون النشطون حيث الكل لا يبالي بالكل حتى اللحظة التي أبصروا فيها جوهر ليهجموا عليه بالسلام وبعض التعزيات المؤجلة لينفضوا بعد ذلك في نظام متقن وكأنهم متفقين إلى عملهم، كان جوهر يظن قديماً أنهم حاملوا اوراق فقط يتسكعون بها هنا و هناك حتى عرف أنهم لا يتسكعون فقط بل يتسكعون براتب شهري، ركبا المصعد الخاص بمدير

الشركة والذي يؤدي إلى مكتبه مباشرة دون توقف، وهما يقفان في المصعد كان جوهر يختلس النظرات إليها عبر جدار المصعد العاكس ويبذل جهداً كي لا تراه وهو يسرق النظرات، لكنها رأته !وبادلته بسمة راضية كأنها تقول واصل إختلاسك، توقف المصعد وخرجا منه يصلحان ملابسهما؛ لتبدو مقبولة أمام السيد رضوان، إقتربا من مكتب السكرتيرة الشاردة حتى اللحظة التي سمعت فيها صوت جوهر الهادئ:

-هل السيد رضوان موجود؟

سألها والإبتسامة تعلو وجهه.

نظرت إليه من أعلى نظارتها المعلقة لهذا الغرض. . .

- موجود ولكن هل لديك موعد معه؟

-ليس لدي موعد فقط أخبريه بأن جوهر ينتظر.

-إن لم يكن لديك موعد عد أدراجك !

ثم أغلقت الدفتر بقوة أُنثوية مفرطة .

-حسناً سأعود.

إرتسمت حينها معالم الدهشة على وجه ملاذ !وكادت أن تخنق السكرتيرة الغبية بيديها إلا أن جوهر أشار إليها بيده بأن لا تنفعل.

- هذا يحدث دائماً فانا لا آتي هنا كثيراً.

ثم إتصل بهاتف السيد رضوان الشخصي وما هي إلا لحظة حتى إتصل السيد رضوان بالسكرتيرة التي بدت وكأن أحداً يخنقها:

- المعذرة سيد جوهر فانا لم اعرفك تفضل السيد رضوان في إنتظارك.

- لا عليك.

عندها تقدم جوهر وملاذ التي رمقتها- رمقت السكرتيرة -بنظرات تحمل معاني كثيرة غير المحبة، فتح جوهر باب المكتب العملاق حينها إستقبله عبق الورود وجو المكتب الدافئ وصوت رضوان:

-مرحباً مرحباً إبني العزيز كم إنتظرت رؤيتك كثيراً.

بصوته العالي النقي وقامته القصيرة وقف السيد رضوان مُرحباً بجوهر.

- والأن انا معك بكامل حيويتي ونشاطي.

عندها إنتهت مسافة التسع خطوات من باب المكتب إلي السيد رضوان الذي فتح ذراعيه مستقبلاً جوهر كما كان يستقبله دائماً منذ صغره إحتضنه وكأنه صديقه العزيز، وفعلاً هما أصدقاء لكن فرق السن يوحي بغير هذا، دعاهما السيد رضوان للجلوس على الكراسي القريبة من الزجاج المطل على المدينة من اعلى، المكتب ولون جدرانه الرمادي والضوء الناعم كالشمس حين الأصيل تمنح الشعور بالإلفة، فتح السيد رضوان الستار الأبيض لتدخل أشعة الشمس عبر الزجاج، حينها بدت المدينة أكثر جمالاً من ما هي عليه في الاسفل، جلست ملاذ قبالة جوهر لتترك الكرسي الأوسط معداً للسيد رضوان.

- انتي ملاذ صحيح؟

وهو يسحب الكرسي للخلف كي يجلس.

- أجل سيدي.

- حدثني جوهر عنك، لكن لم يخبرني أنكِ بهذا الجمال.

- هذا من لطفك سيدي.

قالت هذا والبسمة تزيد جمالها.

- ملاذ لديها شهادة إقتصاد وزد عليها اللغة الإنجليزية وبعض الشهادات الصغيرة.

- دعك من الشهادات يبدو عليها الذكاء والفطنة وبما أنك انت- يا جوهر -من أحضرتها فهذا أكبر دليل على كفاءتها.

- شكراً سيدي وانا عند ثقتكم وحسن ظنكم دائماً.

- حسناً ستباشري العمل بداية الأسبوع المقبل مكان تلك السكرتيرة التي في الخارج، العزاء لرجل تعيس مثلي أن تكون سكرتيرته حسناء.

- بهذه السرعة !شكراً لك سيدي.

والإبتسامة تطغى على معالم وجهها.

- جوهر هل تحب الجري كثيراً؟

حينها أبتسم جوهر إبتسامة لها معنى

-أجل سيدي.

- إذًا مَنْ الذي يسبقك إذا كنت تجري وحدك؟

وضع جوهر يده على ذقنه الكثيف ثم نظر بعمق إلى أطول مبنى بين المباني الواضحه من مقعده

- ظلك ياسيدي . . إذا كانت الشمس خلفك (تبادلا بعد ذلك بعد النظرات التأكيدية)حينها نهض السيد رضوان من على كرسيه والإبتسامة تجمل مظهره الرسمي.

- حسناً يمكنك التجول- يا ملاذ -داخل المبنى لتتعرفي عليه اكثر، رافقها يا جوهر لدي بعض الأعمال علي إنهاؤها.

خرجا من المكتب حينها قفزت ملاذ فرحاً وإحتضنت جوهر الذي كان يفتعل الفرح وهو يقول:

- والأن لنذهب في جولة سريعة داخل هذا المبنى.

عندها تحركت ملاذ بفرحه عظيمة وهي لا تبالي بالسكرتيرة الجالسة هناك، أخذها جوهر لمكتب الحسابات أولاً الذي إمتلأ بالكثير من الموظفين المتشوقين لإستلام الأُجور- بدل الساعات -ذلك التعويض الذي يدفع بدلاً للساعات الزائدة عن الدوام، مر بجانبهما موظف مشغول بالعد وقد تمكن الفرح من وجهه بينما الجالسون هناك يراقبونه كما يراقب القط قطعة السمك، تحرك جوهر الذي كان غير

مبالي بشئ غير أفكاره وهمومه التي أكدها له السيد رضوان وتبعته ملاذ بسعادتها، وفجأة عاد الألم إلى جوهر حينها تحدث إلى ملاذ:

- علي العودة إلى المنزل.

- لماذا؟ اليوم ما زال طويلاً.

- أشعر ببعض الألم . . من الجيد أن اعود.

- حسناً، انا سأذهب إلى أصدقائي فلدينا موعد ضد النظام علينا حضوره، ستبدأ الثورة اليوم من قلب المدينة.

- للأسف لن أتمكن من الذهاب معكِ، لكن سأكون حاضراً في الموعد القادم إن كان هناك موعد قادم.

- هذا النظام سيسقط صدقني، يسقط وننال الحرية.

قالت ملاذ هذه الكلمات وعينيها تحمل الثقة وتنظر إلى جوهر كأنه هو رئيس النظام، لكن سرعان ما أبدلت نظرتها ببسمة أنثوية رقيقة.

- حسناً سأذهب . . هل تودين أن أوصلك ِمعي؟

-لا . . سأتجول هنا قليلاً.

- جميل . . خذي حذركِ.

- سأفعل . . إلى اللقاء.

أفلتت يده وذهبت تنظر هنا وهناك بروية، وجوهر يقف ليتأمل وجودها الجميل.

نزل جوهر بعد ذلك خارجاً من مبنى الشركة والغضب والحيرة يقتسمان معالم وجهه، ليركب سيارته ويجلس فيها رافعاً رأسه للأعلى وهو يمسك بوجهه الغاضب لفترة أشبه بالطويلة، بعدها انزل يديه فكانت عيناه تحتضن الغضب وفجأة !أطلق يده التي كسرت مقود السيارة المتين !حينها إنطلق ذلك الكيس المنقذ ليخرج جوهر من بركان غضبه، سكن جوهر في مكانه لعدة دقايق، بعدها أزال الكيس وأخذ عدة أنفاس أعادت لنفسه الحياة، قاد بعدها السيارة ذات المقود المكسور وهو يمني النفس أن لا يجد احداً يضايقه في الطريق، عند الغضب ينسى الإنسان كل شئ ويسعى جاهداً للتدمير، لن تجد شخص غاضب يصلح شئ، هم يدمرون فقط.

أسرع جوهر على غير عادته في الوقت الذي بدأت فيه أفكاره بالمجاهرة:

- لماذا. . . ؟!

ثم سكت كأنه يستجمع أنفاسه ثم واصل التحدث إلى الفراغ:

- لماذا يفعلون بي هذا؟ كل هذا الخداع والتمثيل !لأجل ماذا؟ المال ! تباً للمال.

ثم سكتت أفكاره وإعتلت وجهه بسمة مخيفة هادئة كهدوء الأفاعي :

-فليفعلوا إن إستطاعوا، سيعرفون معنى الخداع الحقيقي.

بعدها أسرع في الطريق وكأن السيارة أخذت من بعض غضبه وهي تجري في قوة مخيفة.

وصل المنزل وهو مكسور النفس بالكاد يستطيع التحرك، إن ما يصيب القلب يظهره الجسد دائماً، حاول بكل ما لديه من مهارات التمثيل إخفاء إنطفاء قلبه أمام سديم وصديقاتها الصغار اللآي كن يلعبن في حديقة المنزل والفرح ينبعث من وجوههن، نظر إليهن بعين الفراغ لكن سرعان ما بدل نظرته عندما صرخت سديم في فرحة:

- عاد جوهر.

ركضت إليه كما كانت تركض إلي والدها عبد الله وبنفس الحضن الصغير أحاطت وسطه، وهو يقف ما بين الحزن والحب، حينها رفعت رأسها إليه ناظرةً بعينيها المشرقة كشمس ديسمبر الصباحية، دنى إليها وصنع جوهره بسمة حقيقية من عمق الأحزان، أمسكت يده بكلتا يديها وتحركت نحو صديقاتها الفرِحات وجوهر لا يدري ماذا تنوي هذه الصغيرة فعله.

- هذا اخي جوهر . . هو ممثل وسيمثل لنا تمثيلية.

عندها قفزت عينَّي جوهر وهو ينظر إلى سديم جالبة المتاعب.

- هيا هيا . . . مثل لنا مثل لنا.

وهم يقفزون وكلهم شوق لرؤية التمثيلية، إرتسمت الحيرة على وجه جوهر وهو يتوعد سديم بالإنتقام وهي تضحك، مضى وقت طويل منذ آخر مسرحية أداها جوهر، لكنه إستجمع قواه وحاول الإرتجال بقصة طفولية بسيطة، وقف لبرهة وهو يختار في راسه شخصيات القصة...

- سأحكيها لكم وانتم مثلوها لاحقاً.

- أشرن برؤوسهن -اي موافقين .

- حسناً . . كان هناك في الغابة أسد تخافه كل الحيوانات كان ذلك الأسد قوياً و طيباً أيضاً، قام بتربية ضبع صغير مع أشباله الصغار لكن عندما كبر الضبع غدر بالأسد هو والضباع التي رمته وهو صغير؛ فمات الأسد الكبير بعدما وضعوا له السم في الطعام، لكن الأسد الصغير كان قوياً أيضاً وقرر الإنتقام من الضباع وعندما عرفوا بنواياه أرسلوا إليه ضبعه جميلة لتلهيه عنهم ويقوموا بسرقة كل الطعام والغابة التي يحكمها، فعلت الضبعه ذلك حتى ظنت نفسها لبوة قامت بسرقة الطعام منه وهو نائم وقام الضباع الآخرون بالإستيلاء على الغابة وضربوا كل الحيوانات فيها وسجنوهم، حتى جاء الضبع الغدار إلى الأسد النائم ليسخر منه، عندها إستيقظ الأسد وضرب الضبع ضربة واحده بيديه فأرداه ميتاً، وقام بعدها بإطلاق كل الحيوانات المسجونة وضرب الضباع التي هربت وهي تبكي.

- هيِ هيِ هيّي.

هكذا صرخ الأطفال فرحين بإنتصار الأسد.

- حسناً من سيكون الأسد الصغير؟

جوهر يسألهم في حماس.

كلهم يرددون نفس الكلمة ويقفزون كالمياه الغازية

-انا انا انا.

- حسناً فالتتبادلوا الأدوار كل مرة، انا سأذهب لأرتاح وغداً في نفس الموعد مثلوها أمامي، سأعطي أفضل ممثلة فيكن جائزة جميلة.

- سأفوز بالجائزة.

- لا انا سأفوز.

- كلكم مخطئون لن يفوز بالجائزة احد غيري.

وإبتدأ نقاش الأطفال الصاخب، حينها ذهب جوهر بهدوء إلى داخل المنزل ووجهه لا يزال مقسوماً بين الحزن والفرح، وكأن الألم لم يجد يوماً غير هذا فقد كانت منى وأمه تجلسان على طاولة الطعام وتنظران إليه نظرة توحي بأن الحديث كان عليه، لم يبالي بذلك وحياهما ثم صعد الدرج إلى غرفته، لم تتمالك منى تجاهل جوهر لها فنهضت في غضب وأسرعت إلى غرفتها وأجفانها تحتقن بالدموع .

في الغرفة وقف جوهر ناظراً لإكليل الورود في غضب يدفعه شعور بغيض لتحطيمه، لكن سرعان ما تناسى أمره فور جلوسه على السرير ونظر عيناه لأرضية الغرفة ذات اللون الرمادي، قام بفعل حركات عشوائية لا معنى لها كإطفاء المصباح وتشغيله مجدداً وفتح خزانة الملابس وغلقها ونقر دمية الكلب الصغيرة التي تحرك رأسها يميناً ويساراً بوسطاه، ثم بعد أن تمكن الشعور منه غط في نوم عميق رغم ذلك الألم في معدته.

ضحكات الاطفال جذبتها بعد أن أفرغت محتوى جفنها وغسلت وجهها الربيعي- منى -ومحياها الجميل خرجت إلى الحديقة تخبئ العناء خلف إبتسامتها الزمردية، وقفت تراقب تمثيل الاطفال اللطيف للقصة وتبادلهم دور الأسد والضبع الحقير.

- تعالي يا منى مثلي معنا، سيمنح جوهر أفضل ممثلة جائزة.

قالت سديم كلماتها في حماس وترغيب وتشويق مثير.

- لا مثلوا انتم انا لا أحسن التمثيل.

ردت وكأنها تعتذر لكاترينا كييڤ عن عدم قدرتها على مجاراتها.

واصلت مراقبة الصغيرات في صمت تتخلله بسمة حقيقية من القلب الذي أتعبته الأيام.

إنقضى ثلثيّ النهار وأصبحت الشمس على الزاوية ستين اليُسرى، وعصافير الشتاء تسبح في السماء، ثبتت منى نظرها على شرفة جوهر وراحت تعيد الذكريات التي كانت تعيدها دائماً وهي بعيدة، اللعب تحت شجرة النيم الكبيرة وحب الصغار والمراهقة الجامحه، كانت تتذكر جوهر والأمان الذي في عينيه، ما حدث لعائلتها السعيدة وما حدث له كلها اسباب تُعزيها في جفائه الغريب، تأكدت تماماً أنه سيعود كما كان ولكن عليها المبادرة وإخراجه من كومة الأحزان التي رسمت هالة الألم عليه.

في الغرفة التي غزاها الظلام كان جوهر نائماً بنفس الوضعية التي داهمه النعاس عليها على ظهره واضعاً يده اليسرى على وجهه، إستيقظ ونفض بقايا الفتور ثم نظر إلى الهاتف الذي إمتلأ بالمكالمات الفائته والتي كان لملاذ الحظ الأوفر منها، رمى بالهاتف جانباً وهو ينظر لساعة الحائط التي تواصل التقدم- الساعة الحادية عشر - تماماً، احس بشئ من الجوع الليلي الذي يزوره دائماً في ليالي ديسمبر

الباردة، وكأن هذا الجوع يخبر حنين الليل أن الفراغ ليس في القلب فقط، نهض من فراشه يتملكه حب كبير للظلام وضوء القمر الطفيف الذي تسلل من زجاج النافذة ليضع لمسته الحنونة على كتف الأرض، ما يزال الكلب الصغير يحرك رأسه وحيداً في فضاء الغرفة، خرج جوهر يقصد المطبخ تاركاً الغرفة الصامته والكلب الصغير خلفه يصدر صوته الضئيل، هبط الدرج بهدوء كي لا يزعج مَنْ في المنزل، مر بالصالة الكبيرة التي يكاد الضوء المنعكس من البلاط يضيئها؛ اللون الأبيض دائماً يعكس الضوء، دخل المطبخ الواقع في الركن الشمالي ثم فتح النور فكان مرتباً يدخل النفس في حب الطعام، فتح الثلاجة فإنبعث بردها يحمل بشارات الشبع، وجد جوهر بعض الأطعمة التي تحتاج إلى تسخين وبعض اللحوم، فما كان منه إلا أن يحمل سته بيضات من الرف العلوي وبعض الحليب، أخرج إناء الطهي من الخزانة العلوية الثالثة وصب القليل من الزيت عليها، ثم أوقد النار ووضع الإناء، جلس لحظات على طاولة المطبخ يراقب الزيت، هناك أصوات أقدام تقبل الأرض بهدوء ويبدو أنها تتوجه إليه، لم يرد الخروج ليرى من القادم ولكن حدثته روح الدعابة بأن يراه ثم يغلق النور فكان الأمر كذلك، وقف جوهر بجانب الحائط يمني النفس أن لا تموت المسكينة

من الرعب، الصوت يقترب وجوهر يقف متربصاً كالفهود الإفريقية بجانب الباب، دخلت المطبخ ثم فتحت المصباح وهي تتفحص المكان بعينيها الناعستين، وقبل أن تفهم لِما تشتعل النار تحت الإناء أحست بيد تلمس كتفها بهدوء إستدارت حينها لتتفاجأ بشخص لم تتبين مَن هو إلا بعد ما ضربته بكفها وتقهقرت للخلف في تراجيديا مرعبه . . فكان هو جوهر الذي امسك بوجهه وإنحنى مصدراً صوت التألم، إتكاءت على الطاولة تنافس الهواء واضعةً يدها أعلى قلبها، وسرعان ما أدركت فعلها فسارعت إلى جوهر تتسأل عن ما أصابه . . فإنتفض مرةً أخرى متصنعاً تعابير مخيفة وقبل أن تصدر صرخة- صرخة رعبها -وضع جوهر يده على فمها وراح يهدئها ويطمئنها أنه هو جوهر ولا داعي للصراخ الأمر مجرد مزحة، أجلسها بعد ذلك على الكرسي وجلس بجانبها وهي ذاهلة النظر وهو يعيد المواساة، بعد أن سكن صدرها راحت تضربه بيديها الناعمة ضربات كان لها طعم القبلات لدى جوهر ضربة للشوق وأخرى للإشتياق ضربات تعيد الذكريات المعطرة بشذى الورود، تحدثا بعد السؤال عن الحال حديث الشوق الصامت بالنظرات ولمسات الأنامل وخلال ذلك دار الحوار العادي

-ماذا تريد أن تأكل يا جوهر؟

-لم أجد شيئاً أفضل من البيض لكن- أتعرفين -إشتقت لأكلاتك اللذيذة.

- سأطهو لك إذًا ولي أيضاً فالجوع يقتل معدتي المسكينة.

- حسناً، لكن بسرعة لا أريد أن تعلم أمي اننا نتحدث إلى بعضنا.

- ماذا !

- اجل لا اريدها أن تعرف، هناك أمور يجب أن اخبرك بها.

- وما هي هذه الأمور التي تمنعك من الحديث معي؟ !

-الأمر يا منى بالغ التعقيد والحزن أيضاً، هناك مذكرات لأبي عليك قراءتها لتعلمي ماذا أقصد، أنتِ تعلمين كم كنت أُحبه وتعلمين كم كانت أُمي تحب علي، لدي شكوك أيضا ًأنها هي من قتلت والدي.

- كيف !هل أنت تعي ما تقوله؟!

قالت هذا وعينيها مفتوحتين بالكامل.

- للأسف . . أحس بذلك دائماً وأتمنى أن يكون إحساسي كاذباً، الأن تحدث خطة مملة للإيقاع بي . . . هالة من الحزن طافت على وجهه

ثم واصل . . . خطة مملة وفيها من الخبث والخذلان ما فيها، لقد تعبت ولا أجد مَنْ يقف بجانبي، كلهم متواطئون.

وضعت يدها على يده ونظره يغوص في الظلام، ثم بعد تفكير عميق في كلامه توصلت لفهم القصة:

- هل تقصد المسرحية التي كان يمثلها الصغار !إنها مسرحية حزينة بالفعل ولكن نسيت شخصية مهمة لم تذكرها، سأضيفها انا إلى قصتك وهي حبيبة الأسد الصغير، انا يا جوهر سأكون ملجأك حين الضياع ومَنفذاً يُدخل الهواء إلى صدرك انا جدران عالمك إن سقطت كل المباني، بجانبك انا دائماً لا تخف.

- وانا أثق فيك كثقتي في نفسي، وأعلم أن ما في قلبك تنطقه عيناك الناعسة، لكن الأمر يكلفني الكثير انا لا احب الكذب ولا الخيانة وكرهت التمثيل لما فيه من حبس للأنفاس وإنطفاءً للقلب، أود فقط أن أقتل هؤولاء الكذابين السفاحين، إبتداءً من علي وإنتهاءً بملاذ.

- إسمها ملاذ . . جيد سأقتلها انا وعليك بالبقية.

حينها إرتسمت بسمة على وجهه الذابل وراح يداعب أطفال قلبها بلمسات تظهر الخجل على وجنتيها، وبينما هما يفعلان ذلك ظهر هيكل صغير لطفلة جائعة كادت أن لا تلحظ وجودهما لولا ضجيج الكراسي

-ماذا تفعلان هنا؟

وهي تنظر لهما نظرة رجال الأمن.

- نريد أن نأكل، هل أنتي جائعة؟

كان الرد مشتركاً ومتساوياً في التفاصيل سوى الرقة والخشونة.

- اجل اجل انا جائعة جداً، هيا حضري لنا طعامك اللذيذ يا منى.

- حسناً إجلسي يا جميلتي وسوف يكون الطعام أمامك حالاً.

جلست سديم وجوهر ينظر إلي وجهها الجاد الطفولي وهي جالسة كسيدة أعمال في الثلاثين من عمرها بينما منى تلتفت لتراقب المشهد وهي تكتم ضحكتها.

- ما هي الجائزة يا جوهر؟!

قالت هذا وكأن صدرها يضيق بهذا السؤال.

- لن أخبرك، إلا إذا وعدتيني بشئ.

- أعدك بذلك، ما هي الجائزة أسرِع أسرِع.

- هل علمتي ما هو الوعد؟

وهو يصدر صوت الإزدراء.

- وما هو الوعد؟

- أن لا تخبري امي برؤيتك لنا معاً، هذا سر يجب عليك كتمانه.

- حسناً ما هي الجائزة.

- الجائزة يا سديم هي صندوق كبير بحجمك ممتلئ بالشكولاته.

إلتمعت عيناها عندما ذكر جوهر الشكولاته وكأنه حلم كان يراودها.

- سأفوز بها اليس كذلك يا جوهر؟

- إجتهدي فقط وستفوزين، فقط تذكري السر الذي بيننا .

- لن أخبر أحد بذلك أبداً.

- إذًا سأحضر لك الكثير من المجلات والقصص.

إرتسمت فرحة على وجهها النقي

- كم احبك جوهر.

وبسرعة وضعت نفسها في حضنه وسكنت حتى جهز الطعام حيث كانت حين ذاك في زلفة أحلامها، تناولوا الطعام بأعينهم الناعسة وخرجوا بعد ذلك إلى أسِّرتهم وأقدامهم تتثاقل في مساء ديسمبر البارد.

بعد تلك الراحة النفسية التي وجدها جوهر في ليلته السابقة إستيقظ وكأن شيئاً لم يحدث، نظر إلى الهاتف وتذكر أن عليه الإتصال بملاذ كي لا تشك أن أمراً قد حدث لكن أرجئ الإتصال حتى يزول النعاس بكوب من القهوة ييقظ عقله المثقل، نهض من فراشه وصلى الصبح في خشوع المظلومين وشكى لربه، بعدها جلس يستمتع برشف القهوة وتغاريد العصافير الصباحية تخاطب روحه، حضر الجد شريف زاهر صاحب الزهايمر الغريب بشخصيته الغامضة ثم أجال النظر في السماء كأنما يبحث عن نجمة عاندت شعاع الشمس وقررت الإصباح، ثبت نظره على جزئية فارغة من السماء المزدحمة بالغيوم وغاص في أفكاره وجوهر ينظر إليه في صمت وترقب.

- هل تعلم أن إنفصام الشخصية(الشزوفرينيا)كان يدعى قديماً بالجنون المبكر؛ لأنه يصيب الشباب دائماً من سن *18* إلى *35*، وهو الإنطواء عن العالم الخارجي وعن الآخرين، حتى أن مريض الشزوفرينيا يسمع أصواتاً لا أساس لها من الصحة؟

- أعلم ذلك يا جدي . . لكن ما المناسبة؟

- ماذا تقصد بقولك جدي؟ !

أن لست جد أحد لا انت ولا ذاك الفتى المصاب بالظنان(البارنويا)الذي كان يظن نفسه ملكاً على الأرض ويقول أن الجميع يحيكون ضده المكايد، ذاك الفتى النرجسي اين ذهب؟

- علي ؟ !

- لا اعرف ماذا تطلقون عليه لكنه في نظري برنويا نرجسي إن أسقطنا صفة الجمال من نيرسوس، وتلك السيدة التي تقول أنها ابنتي هي الشزوفرينيا في أبهى صورها.

تعجب جوهر في البداية لكن بسمة خفيفة تخبر من نظر أنه فهم القصة.

- كلنا مريضون يا جدي بشكل ما فقط مراحل المرض تختلف.

- انتم نعم، اما انا فسليم في ريعان شبابي.

إبتسم جوهر بسمة مكتومة كي لا يجرح ظنون جده الغريب، بعدها تحرك الجد في كرسيه الكهربائي إلى المجهول.

إتصل جوهر بملاذ بصوت ثابت ومتقن لا يشعرها فيه أن شيئاً قد تغير، إستمرت المكالمة التي عبّرت فيها عن خوفها عليه واخبرته أنها لم تنم جيداً في اليلة السابقة بسبب الصداع الذي احدثته رائحة الغاز المسيل للدموع بها ولقلقها عليه ايضاً كل هذه الاسباب تراكمت لتحدث الفتور، ناهيك عن الركض في الطرقات وقوات النظام تطاردهم، تحمس جوهر لحضور مثل هذه المغامرات، رغم الألم الذي يسببه صوت ملاذ في فؤاده، هي تجيد الكذب والتمثيل إجادة السمك للسباحة، لكن لابد من إنهاء المسرحية وتأدية الادوار على اكمل وجه حتى يظهر الجبان في اللحظة التي يدعي فيها جوهر السقوط، أخبرته أن في هذا اليوم ايضاً موكب سينطلق من إحدى احياء العاصمة القديمة، سنهتف ضد الظلم وضد النظام وضد كل شئ، حتى لو إمتلأت الشوارع بالجنود المنتفعين، في الساعة الواحدة من نهار

ديسمبر حين تكون الشمس سيدة الأرض يبدأ الموكب، ألحت عليه بالحضور ولم تعلم بأنه يشتاق جداً لرؤية الشعب وهو ينطق بالحق ويثبت للنظام أنه سيد الوطن.

بالفعل تحرك بعد وعده لسديم بالرجوع مبكراً؛ لحضور المسرحية وتقديم الجوائز، ذهب ولهفة الإنتفاض تطل من عينيه بسيارته المرسديس القديمة التي تتناسب وشوارع البلاد، وصل الحي الذي ينطلق الموكب منه ولم تمنحه رائحة الغاز المسيل للدموع فرصة الإتصال بملاذ، ترجل من السيارة بعد أن ركنها في شارع يسمح بالإنسحاب السريع إذا حدثت الكوارث، سيدة في عقدها الرابع تسيل دموعها وهي تنفر من داخل الحي إلى اللامعلوم اخبرته بأن عليه الرجوع؛ لأن العسكر قد جن جنونهم وهم يطلقون القنابل الصوتية وعبوات الغاز الخانق ويعتقلون كل مَن تطاله أيديهم، أحس جوهر أن الوضع فيه بعض الخطورة لكن وبلا تردد إنطلق إلى عمق الحي، رغم الصعوبة وتأثير الغاز عليه إستطاع الولوج إلى عمق الخطر، وجدهم يبكون- المتظاهرون -ويسيرون في إنهزام وخوف وتارةً يهربون كالسيل من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، ازعجه تأثير الغاز(غاز السي آر)ولكن واصل التقدم بين الحشد

المنقسم إلى جزيئات تقف هنا وتركض هناك، في تلك الشوارع الضيقة والغير مستوية إنطلق جوهر باحثاً عن ملاذ وأصدقائها في الصفوف الأمامية حينما كانت عبوات الغاز تعلو في السماء وتسقط كحمى بركان هائج يفزع البشر، كاد أن يصل المقدمة التي صمدت ببعض الشجعان وهم يقفون بجنبات الشارع الكبير ويحتمون بالحيطان التي وفرتها الأزقة العرضية، صار الجو خانقاً والكل يتداعى، حتى أن جوهر نفسه كان يراقب المشهد بعينٍ واحدة لصعوبة إبقاء العينين مفتوحتين، لم يجد ملاذ ولا اصدقاءها الوطنيون لا في المقدمة ولا المؤخرة، قرر حينها إبعاد بعض عبوات الغاز؛ كي لا تؤثر على اطفال الحي والنساء في بيوتهم، أبعد عبوة بسرعة ورماها من حيث جاءت لكن للأسف كانت المسافة بعيدة جداً ولم تصل ولن تصل إليهم(من الأفضل أن نقترب منهم؛ لنصير اكثر فعالية وصمود)لكن سرعان ما تداعى الصف الأمامي وتلاشى وبقي جوهر يمثل الصف الثاني العنيد، بقي وحيداً يرمي عبوات الغاز بعيداً رغم الضيق الذي تسببه، لقد كان يبدو عليه الإستمتاع بذلك حتى تلك اللحظة الذي أحس فيها بالملل من مراقبة الآخرين له وهم يهتفون بصوت لا يصل حتى إلى مسامعه كانوا يقفون خلفه على جنبات الطريق وفي أسطح المباني، لم يكن

يهتف كان صامداً فقط حتى اللحظة التي قرر فيها البحث عن ملاذ ليكتشف أن ليس هناك صف غيره، كان هو الصفوف كلها عندما تحركة قوات النظام إلى داخل الحي، ركض الجميع في فزع كأن كارثةً تحدث ركضوا إلى مخابئهم، بقي جوهر وحيداً في تلك الشوارع المدفونة بالغبار، أصبحت الرؤية" اقل من المستحيل بقليل [2]"في تلك اللحظة العصيبة لمح جوهر طيف إنسان يتمايل داخل غيمة الغاز والغبار، إقترب منه فكانت فتاة في بواكير شبابها، لا تستطيع النظر ولم يتبقى لها من الإختناق إلا قليل، في الشارع المختنق حملها جوهر الذي كان خلفها لمّا أحس بإنهيارها . . حملها حيث تصرخ تلك المرأة مستنجدة في الباب وادخلها من خلاله، كانت أمها، مددوها على الأرض حيث الهواء اكثر نقاءً واحضرت الأم بخاخ الأزمة التنفسية الموشك على الإنتهاء، وجوهر ينظر إلى الملاك الممدة على الأرض في عجز، في الخارج تُسمع ضوضاء سيارات اللاند كروزر وغوغاء العسكر المستفز، سعلت كثيراً واخرجت من عمق أجهزتها التنفسية ذلك الغاز اللعين الذي لمحه جوهر في شفافية الهواء، أخرجته وهبط صدرها وسرعان

[2] كيف تُكتب الرواية - غابرييل غارسيا ماركينز

ما عادت لتنفسها الطبيعي، طردوا بقايا الغاز العالق في فضاء الغرفة واغلقوها، حينها عاتبت الأم ابنتها لمّا رأت تعافيها:

- ألم أمنعك من الخروج يا جاهلة؟ هل تودين الموت هكذا؟

- الموت يا امي لا يخيف إلا الجبناء.

- غبية !هل تحسبين أن أفعالك هذه شجاعة؟ ماذا لو بقي النظام او سقط؟ ماذا يعني هذا لقلب أُم فقدت إبنتها!

أطلت الدموع من اعينها حين قالت هذا.

- انا أسفة يا امي، لكن لن أغفر لهم سفكهم لدماء ابي . . لن أغفر ظلمهم.

- فاجعة واحدة خير من فاجعتين، ماذا سيحدث لي إن أصابكِ مكروه؟ !

- ما سيحدث هو سقوطهم فقط لا شئ غير ذلك.

كانت عيناها تشع بالعزم وتنطق الحق - سماح - والسبعة عشر سنة التي عاشتها في ظل النظام تلك السنين كانت كفيلة بإخراج مرأة في

الخمسين من عمرها بحماسة الشباب وتهورهم، نظرت إلى جوهر في حيرة . . كيف لهذا الوجه الجميل أن يرمي بنفسه في عمق الخطر:

- شكراً على إنقاذك لي.

- هذا واجبي لا شكر عليه.

- ما إسمك؟

- محمد جوهر . . وانتي؟

- إسمك جميل . . انا سماح.

- تشرفت بمعرفتك يا سماح . . . سكت وفكر . . . لا تقلقي والدتك مجدداً.

نظرت إليه في تعجب وسرحت بنظرها بعيداً

- يا ليتني استطيع !

- حاولي بقدر الإمكان.

إلتفت إلى الأم وشكرها على إستضافتها وهم بالخروج وهو يستطلع الشارع الذي عادت اصوات الثُوار إليه، خرج باحثاً عن الملاذ في عيون

الثُوار، كانت أعينهم راجفة تدعي الثبات إلا القليل منهم كان صامد، كانوا يشبهون ملاذ بحذافيرها إلا بعضهم كان حقيقي ثابت كالسماء تنظر أعينهم بثبات إلى الخلاص، تبعته سماح دون أن تشعر ودون أن يشعر هو ايضاً حيث كانت تدعي اللامبالاة وأعينها تناجي قلب جوهر الباحث عن ملاذه، وجدها بين اشباهها المنتشرين تهتف بأعلى صوتها وتردد تلك الشعارات المحمسة للثوار، وحولها يلتف المتظاهرون ويهتفون خلفها" الشعب يريد إسقاط النظام [3]"وغيرها من الأقوال، رأته فزاد حماسها وإشتعلت ثورتها، بعدما تعبت من ذلك إستلم عمرو صاحب الميلاد المشؤوم دفة القيادة وإنسحبت هي خارج الجماعة إلى جوهر الصامت في ركن الساحة، إحتضنته حضن لا مذاق له عند جوهر الذي كان ينظر إليها ويرسم إبتسامة متقنة الصنع على وجهه، وسماح تراقب من بعيد.

- اين كنتَ؟ ولماذا لم تتصل بي؟

- لم اجد وقتاً مناسباً لذلك؛ فمفعول الغاز أربكني . . اين كنتِ انتي؟

---

[3]لقائلها

- ها ها ها . . مثلك يا جوهر لا يتحمل متاعب الثورة، لكن ستعتاد على هذا.

- صحيح فأنتم مجربون . . لم تجيبي اين كنتي؟

- كنت في الصف الأمامي عندما داهم العسكر الحي كادوا أن يمسكوا بي إلا أن عمرو أنقذني !

لم يهتم جوهر بالكذبة كثيراً بل أدى دوره كما يجب أن يكون:

- وهل أصابكِ مكروه؟ لا تخاطري بنفسك كثيراً هذا الجمال مكانه السماء وليس غبار الأرض.

- لا تخف علي فانا" قوية كالحرب ناعمة كالسلام [4]"إقتربت سماح منهم ونادت على جوهر لتشكره مجدداً وتخبره أنها إطمأنت لوجوده بجانبها وبينما كانت تسأله متى سيأتي مجدداً قطعت ملاذ الحديث بصوتها المستأنث حين قالت وهي تنظر لسماح في إزدراء:

- هيا بنا كفاك عبثاً مع الفتيات.

وقفت سماح تنظر لجوهر الغامض في حيرة وإلى ملاذ في غضب

---

[4] لقائلها أيضاً

- حسناً علي الذهاب - يا محمد - فأمي تنتظرني.

- حسناً . . إلى اللقاء.

ذهبت في خطوات غاضبة على طريق منزلهم وجوهر ينظر إليها نظرةً كسكون الليل وملاذ تحمل أعينها الغضب، غابت في زحام المتظاهرين وعادت ملاذ إلى عمق الهتافات بجانب عمرو تاركةً جوهر يداعب صمته، وفجأة !دون سابق إنذار !دوت أصوات إطلاق الغاز وما هي إلا ثانية حتى امطرت السماء العبوات بغزارة، حينها ركض الجميع إلى إتجاهات عشوائية تاركين بقايا الغبار وصدى الهتافات الحالمة خلفهم، وجوهر يرمي بالعبوات بعيداً ووحيداً حتى تلك اللحظة التي وجد فيها سلواه مجموعة صغيرة من الثُوار الحقيقين وقفت بجانبه وراحوا يلتقطون العبوات الخانقة ويرمونها بإتجاه سيارت العسكر التي توقفت عن التقدم؛ لأن الغاز المسيل للدموع يمنعهم هم انفسهم، كانوا عاديين نادرين - الثُوار - بمظهر عادي وقلوب لا تعرف اليأس، وقفوا وقوف الجبال وقاتلوا كما الأبطال، كانوا خمسة شباب وسادسهم جوهر الغريب أن اعمارهم صغيرة ويبدو أن جوهر اكبرهم عمراً وجسداً، صمدوا لوقت طويل بالثقة التي إنتشرت بينهم في تلك

اللحظات، أطلق العسكر كميات مهولة عليهم عندما أحسوا بخطورتهم، أصابت إحدى العبوات المعدنية ساق أحد الأبطال كادت أن تكسرها عندها حمله إثنان من العاديين الثُوار وركضوا به في إتجاه المنازل الأمنة، إشتد غضب جوهر في تلك اللحظات وراح يرمي بالحجارة بقوة وعزم عظيمتين، أصابت إحدى احجاره رأس الضابط المختبئ وراء الجنود، جن جنون العسكر حينها واطلقوا بعض الرصاص الحي عليهم، أشار جوهر إلى رفاقه بالإنسحاب في عقلانية حربية محترمة، الإنسحاب من مواجهة مباشرة عندما لا تتساوى القوى تكتيك حربي معروف، ركضوا في إتجاهات مختلفة شتتت افكار العسكر المتعطش للدماء، صرخ الضابط والدم ينهمر من مقدمة رأسه:

- إلحقوا بكبيرهم.

مَن هو كبيرهم؟ قال جوهر هذا في عقله وهو يركض مسرعاً إلى الأمان، نظر نظرةً خاطفة للخلف فعرف مَنْ هو كبيرهم؛ فقد كانت سيارات اللاندكروزر تركض خلفه كالنمور الأسيوية، إنطلق حينها بأقصى سرعة في تلك الساحة الخالية وصلت سرعة جوهر ضعف سرعة يوسين بولت الجمايكي، حتى أن سيارات اللاندكروزر تعجبت

من سرعته وفتحت اعينها جيداً، ركض والعسكر خلفه كأنه السبب الوحيد لتردي أوضاع البلاد، إقتربوا منه حتى ظن أنها النهاية، وصل في تلك اللحظة التي كادت السيارات أن تدهسه إلى حائط طويل لا يدري كيف إعتلاه ولكنه إعتلاه وسط حيرة العسكر، ركب أسطح المباني وراح يقفز من سطح إلى سطح حتى ضاع من الأنظار، كبابلو إسكوبار عندما كانت فرقة البحث تطارده، ظل العسكر يمشطون الحي بحثاً عن جوهر والثُوار لكن لم يجدوهم وكأن الأرض إنشقت وإبتلعتهم، تمدد جوهر على سطح أحد البيوت العادية وشمس ديسمبر تشوي جسده المنهك، ظل هناك مدة ساعة يتابع ضوضاء العسكر وهمجيتهم وطيف منى يزور قلبه ضاحكاً لينسيه صعوبة الموقف، عادت الأحوال إلى عاديتها حين ذهب العسكر بعيداً تاركين الرعب في قلوب المرتعدين، نزل جوهر من مخبئه فجأة ليجفل المتظاهرون الذين ظنوه أحد افراد العسكر، بحث عن ملاذ مجدداً حينما إرتسمت حالة اليأس في وجوه الناس، ذهب في ثبات إلى المكان الذي ركن السيارة فيه، وجدها كما تركها عليه لم تُصبها العبوات التي أصابت معظم السيارات، إتصل بملاذ التي لم تفهم وصف مكان تواجده، النساء دايماً لا يعرفن الإتجاهات، أعطت الهاتف لعمرو اللعين والذي

فهم الوصف بسرعة، جوهر ينتظرهم في ملل وبالكاد إستطاع كبح الرغبة في قتل عمرو حتى تكتمل المسرحية وتسقط الأقنعة سيظل صديقه وملاذ محبوبته، إنتظرهم وسط إنسحاب المتظاهرين في خوف وهم يقطعون الشارع راجفين، ركب السيارة وتظاهر بالنوم في الوقت الذي طرق فيه عمرو زجاج السيارة حينها فتح جوهر الأبواب المؤصدة لتركب ملاذ بجانبه ويجلس عمرو وفتاة اخرى تشبه بابا نويل في المقاعد الخلفية.

- هيا هيا أسرِع . . اخرجنا من هنا بسرعة.

هكذا صرخت بابا نويل في وجه جوهر الذي نظر إليها عبر المرآة في برود ثم تحركت السيارة بالبرود نفسه.

- لِما تأخرتم؟ ومَنْ هذه؟!

- سلم علينا أولاً يا جوهر . . ألم تفتقدني فانا لم أرك منذ مدة!

- عمرو !اعذرني فاليوم كان صعباً.

- و ما صعوبة الإختباء؟ ماذا كنت لتقول لو كنت في مكاننا، أخبريه يا ملاذ عن الخطورة التي واجهناها.

- أخطأت . . لم يكن يختبئ . . . لقد كان مشغولاً بأمر آخر.

- تقصدين الفتاة الفقيرة البالية تلك . . جوهر لا ينظر لأمثالها.

- لم تجيبوني من هذه الفتاة التي تشبه بابا نويل؟ !وهو ينظر إليها مجدداً عبر المرآة.

- جوهر يحب المزاح لا تبالي يا شادن.

- من تقصد يا هذا !انت بابا نويل ايها الأحمق . . أنزلني من سيارتك اللعينة ال. . .!

لم تكمل كلماتها حين ضغط جوهر على المكابح فجأة تعتليه نظرة البرود

- انزلي.

حينها قفزت عيناها وهي توزع نظرات متوسلة على عمرو وملاذ.

- هل جننت يا جوهر !كيف تنزل وسط هذه المخاطر؟ إن كان كذلك سأنزل معها.

همت حينئذٍ ملاذ بفتح الباب إلا أن جوهر أمسك بيدها الناعمة

- حسناً سأدعها تبقى.

تحرك فوراً بصمت وعاد جو الأكاذيب كما كان وجوهر يلتزم الصمت بعدما خرج من مأذق السؤال بمكر عجيب، تحدثوا عن الثورة وصمودهم كالجبال امام أسلحة العسكر وجوهر يراقب الموقف بصمت عميق، هم يسرقون مجهود الآخرين حتى في حديثهم، هم صورة طبق الأصل عن علي كأنهم مصنوعون بقالب، ثرثروا كثيراً وكان جوهر يشاركهم بعض الكذب حتى وصلوا إلى المقهى الذي يجتمعون فيه دائماً بالقرب من منزل جوهر، أنزلهم جوهر هناك وإدعى التعب؛ ليذهب إلى منزله وسط شماتة عمرو وملاذ لضعف قوته وعدم إستحماله يوم واحد في الثورة، حتى أن شادن - بابا نويل - سخرت منه، ذهب في إختناق وهو يظهر بسمة متقنة على وجهه، ذهب وهو يلعن التمثيل الذي يمنعه من قتلهم ذهب إلى المنزل في صمت عميق.

جلس قليلاً في السيارة يرتب أنفاسه المختنقة، بعدها نزل لتركض سديم نحوه في فرح وهو يجلس على ركبتيه ليحتضنها كما كان والده يفعل دائماً، أخبرته أنهن جاهزات لتأدية المسرحية الأن، تسألت كثيراً عن رائحة البصل التي في ملابسه، أخبرها أنها مجرد رائحة إلتصقت

به عندما كان يصلح السيارة، على ذلك سيذهب للإستحمام ويعود ليحضر المسرحية، ذهب وهو يشجع الفتيات على التدرب جيداً ريثما يعود، دخل الصالة التي تعطرت ببقايا الغاز العالق به وسط حيرة أُمه التي ردت السلام ببرود وهي جالسة بجانب الطاولة الخشبية تحيك الفراغ، صعد الدرج وإختار بعض الملابس المنزلية ثم تحرك بسرعة لا هدف منها إلى الحمام واغلق الباب، مكث لبعض الوقت يستمتع بالمياه الدافئة التي إحتضنت جسده وتلك اللسعات التي تتفاعل مع المياه من عوالق الغاز المسيل للدموع، أحس بأن وجهه صار كقطعة خبز يابسة، تعطر قليلاً ليعيد بعض الجمال الذي سرقته المتاعب منه، هبط الدرج ولم يبالي بمنى الجالسة قبالة الشاشة وسط نظرات مختلسه من الأم، عندما خرج إلى الحديقة يتنفس الطبيعة كانت شمس ديسمبر تصور المشهد، صمتت الفتيات عندما إقترب جوهر ووقفت من كانت جالسة في توتر ملحوظ يبدو عليهن، فهذه المنافسة عندهم من الأحداث المفصلية في حياتهم الصغيرة، من الجيد أن تكون صغيراً فحينها سيكون عالمك صغير وإهتماماتك أصغر ولن تصدق ابداً أن هذا العالم يحتوي اشياء اخرى غير ما تراه وتعرفه، كانوا يرون العالم كله في بعضهم ويعتبرون كل الذي يتحدث عنه الكبار مجرد أحلام

طفولية.

وسط جو الترقب والحماس رتب جوهر الأدوار ووقف يتأمل المنظر الجميل لجديتهن الكبيرة، أشار إليهن بعدها بالبدء، وهاهن يرتجلن الحوار ويؤدين المشاهد بمهنية عالية ومشاعر سامية تجلت كثيراً عند سديم التي دخلت في نوبة بكاء حينما مات الأسد رغم أنها كانت تؤدي دور الضبع الغدار، أبعدها جوهر عن المسرحية وهو يجاهد نفسه كي لا تسقط إحدى الدموع من عينيه، إحتضنها بينما كانت الصغيرات يواصلن المسرحية بنفس المهنية، إنتهت المسرحية ووجد جوهر نفسه حائراً لا يستطيع تحديد الفائزة فكل واحدة تميزت عن الأخرى، عندها نظر لسديم وصديقاتها من بعدها ثم تحدث بتشويق

- الفائزة هي . . . الفائزة هي . . ليلى.

عندها قفزت ليلى فرحاً وقفزوا معها حائرين، وجوهر ينظر بحنين، حين لم تظهر علامة حسد او حسرة عليهم اردف جوهر:

- كل واحدة لعبت دورها كما يجب أن يكون، لذلك كلكن فائزات، لكن ليلى هي من تفوقت لذلك سيكون عليها الإختيار إما أن تأخذ الجائزة وحدها او تقسمها عليكن ؟.

في صوت طفولي جميل قالت ليلى ذات الشعر المتدلي كزيل حصان:

- سأقسمها عليهم يا جوهر.

- حسناً . . ما رأيكن أن نذهب في جولة حول المدينة وأشتري لكن كل ما تردن.

قفزن فرحات غير مصدقات!

- هيا هيا بنا . . هيا يا جوهر.

- حسناً سأحضر السيارة الأكبر من الجراج؛ لنذهب في جولة ممتعة ونحتفل بأداء ِالمسرحية.

وقفن في فرح ينتظرن بترقب عودة جوهر الذي تناسى حزنه بضحكاتهن والروح النقية، عاد راكباً سيارة مرسديس جي كلاس سوداء اللون تمشي كأنها عارضة أزياء في الخامسة والعشرين من عمرها، ركبت الفتيات اللآي كن سبعة بسديمهن، رحن يغنين وينظرن للمارة والأشجار ويتبادلن الضحكات المعبقة بالفرح، إستمتعن جداً بالجولة وإشترى لهن جوهر الحلوى والألعاب الصغيرة وكميات كبيرة

من الشوكلاته وضعها في صندوق السيارة، عدن فرحات بعد زيارة الملاهي تتملكهن السعادة والنشوة.

صوت ضئيل يصدره الكلب الصغير في الغرفة وهو يحرك رأسه كأنه يرفض العالم البائس، تلك الدمية لا تمل من التحرك حتى يأتي ذلك اليوم الذي تتعطل فيه او تنكسر على يد أحد الأطفال الفضوليين حتى ذلك الوقت ستواصل التلفت، أحس جوهر بإختناق متزايد ونورستانيا مفاجئة حين راوده شعور العجز وعدم القدرة على تحمل هؤولاء المنافقين، كان يريد فقط أن ينفجر في وجه الكل بطريقة مدمرة وحاسمة، لن يغفر ابداً وفاة ابيه ولن يغفر، لكن الإنتقام يدمر صاحبه أولاً ويقتله من الداخل، أغمض عينيه وعقله يغوص في بحور مظلمة وإحتمالات كئيبة، إنتفض فجأة وأخرج القلم وبدأ يرسم مشاعره في الورق بأحرف مرتبكة، كتب بإنسيابية وكأنه يتحدث إلى الورق . . . كتب إليها . . .

" هل تتذكرين تلك الضحكات القديمة الصادقة؟ تتذكرينها، أتمنى فقط أن تعود.

أمضيت هذا اليوم برفقة الكذابين؛ لذلك أحس ببعض الإختناق الأن، وكان ليكون الوضع اكثر سوءً لولا ضحكات الصغار وتلك الجميلة التي تشبه سديم في تفاصيل روحها، إسمها سماح، كانت تتحدث بنفس الطريقة التي تفكر بها، حديث غير مرتب لكنه جميل صادق كانت شفافة جداً حتى يكاد يرى قلبها الذي ضمته الجوانح.

لكن الخبر الجميل والسلوى أن طيفك الباسم إغتال صعوبة اللحظات، كم أتمنى أن ينتهي كل هذا لننعم بالهناء السرمدي، حتى ذلك الوقت إنتظري رسائلي عبر الحمام الزاجل - سديم - وحتى يزول الضباب وتتنفس الورود؛ أُحبك.

عزيزتي / منى

عزيزك / جوهر".

حينما داهمه برد كانون الأول على الشرفة؛ تذكر اولائك المهمَلين على الطرقات الذين تَعيشهم الحياة ولا يعيشونها، حينها أدرك أنه وبطريقة ما ساعد الظالمين على الظلم، لم يفكر كثيراً حينما اخذ بعض المال وخرج يرمي به من نافذة السيارة على كل جسد خاوي من الحياة عله يخفف الألم وينجده من الضياع، أحس بشئ من السرور

ولكن سرعان ما تلاشى ذلك الشعور عندما أيقن أنه هو الغريق المهمل وهو المحتاج لأطواق النجاة.

أشجار الصفصاف الباكي تتراقص على أنغام الصباح وبين أحضان الرياح الشتوية عندما كان جوهر ذاهب إلى البحر حيث كاد في تلك الأيام أن يقع في فخ الملاذ، الأن هو يعي ما يجري تماماً عليه التمثيل فقط حتى تنتهي المسرحية، لابد أن ينتقم من علي ولكن ذلك الشعور بالإختناق كان يزعجه ولكنه يصبر كما كان يفعل والده دائماً، الصبر هو مفتاح كل شي.

إلتقى بملاذ هناك على الشط واخبرها أن عينيها كالبحر وهو غارق فيها وأن ضحكتها كالشمس تمنح الورود شعاع الحياة، أخبرها بأشياء كثيرة صدقتها كانت كلها كذباً، تحدثا عن العمل ومستقبل حبهما - كذبهما - عن الأموال وتضحيات العشاق، بين كل هذا كان جوهر يتآكل من الداخل ويشتهي صدره الإنفجار، أعلمها أن وقت الرحيل قد حان حينها وبشئ من الأنوثة أهدته قُبلة كانت لتتسبب في إنهياره لو كان الوضع مغايراً؛ فركبا السيارة بعدما إشتد عليهما البرد.

تسارعت اللحظات بعد ذلك والأيام وآلام جوهر تتواصل، أصبح مقيداً بفكرة الإنتقام ويمضي في تمثيله بمهنية عالية ودِقة متناهية، يشارك الحب مع منى بالتخفي وعبر الحروف، يداعب خيالات الملاذ بالعبارت المفعمة بروح العشق، يزور السماح وأمها بلا هدف غير إشباع أعينها برؤيته وقلبها بقربه؛ فهو يعلم تماماً معنى أن لا تمنحك الحياة سند تلجأ إليه، يتلقى التوجيه من السيد رضوان صديق والده العزيز والقوة من أعين سديم البراقة وصديقاتها، ما زالت الأم تراقب في صمت والجد يسهو بعيداً عن متناول الأشياء، وكل هذا كان يحدث مع إشتعال الثورة ووصولها للذروة، سقطت الأجساد الطاهرة وحلقت الأرواح إلى السماء تخبر الله بكل شئ، ماتوا في سبيل الحق لما رأوا الظلم يكسر أقلام الصدق، لكنهم أشعلوا مصابيح النضال بدمائهم الملتهبة رغم الدموع التي إنهمرت على تُربهم، إنفجرت براكين الغضب لتُحرق غابات الظلام وتكسر أشواك النظام، في ذلك الخريف الموحش سقط الدكتاتور ليحل دكتاتور آخر اكثر غباءً ودموية، فما كان من الساسة المحنكين إلا أن يقايضوا الثورة ودماء الشعب ببعض المناصب والتفاهات وقد كان، قالوا أن الوطن أصبح حراً وصدقهم

الجبناء الذين كانوا يختبئون، الأمر أشبه بما حدث للثورة الروسية 1917 واكثر شبهاً برواية جورج اورويل(مزرعة الحيوان)التاريخ يعيد نفسه ام هم من يعيدون التاريخ !وبين هذا كله كان جوهر بلا هواء - يختنق - بغاز الإنتقام ويغرق في بركة الوحدة بصمت صامد، غير المتنفس الذي يجده في الحروف التي تحتضنها عين المنى.

الرابع من مايو/أيار

جلس جوهر في غرفته الدافئة بينما الكلب الصغير يواصل التلفت كأنما يبحث عن ضالة أرقته، جلس يكتب رسالته اليومية لمناه . . . "إشتقت إليك، هذه ليست كلمة كتبتها بيدي بل قلبي هو من فعل، من المؤسف أن تفصلنا أمتار عن بعضنا وتحتضننا كلمات، كم تمنيت أن اكسر حاجز التمثيل واغوص بين جوانحك لتغرق كل آلامي في بحورك الدافئة، رأيتكِ بالأمس تسقين الورود بماء عينيك تمالكت نفسي كي لا تضيع كل جهودنا لكني ذهبت إلى الورود التي كان لها شرف رؤيتك عن قرب وسألتها عن حالك لم تخبرني وجاهدت الإعتراف لكنها إنحنت مع النسيم في إنكسار مجبرة، انا أسف لهذه الأيام التي لم تشاهد إبتسامتك، هل أخبرتك اننا إقتربنا؟ لم أخبركِ !

لقد إقتربنا رغم الضيق الذي نشعر به ورغم الواقع الذي آلت إليه البلاد، اليوم تأكدت أنهم كانوا يخافون النظام البائد لا الإله الواحد، كانوا يريدون إسقاط الدين لا النظام - يحلمون - ألم يعرفوا أن مَنْ أنزل كتابه وارسل رسوله هو من خلقهم وخلق شيطانهم !يجادلون فقط، لكننا إقتربنا.

عزيزك جوهر".

في صباح عادي من صباحات مايو الهادئة خرج جوهر إلى المقهى ذاته الذي إعتاد إرتياده إثر دعوة عادية من ملاذ، ذهب والملل والإنطفاء يثقلان أرجله لقد ملّ من كل شئ، حتى في هذا الصباح لم يبحث عن سديم في أرجاء المنزل كما كان يفعل كل صباح.

في ذلك الشارع كان الناس يسيرون بإنكسار غامض وشتات واضح في أعينهم لم يعودوا قادرين على فهم الحياة، لم تحل أي مشكلة من المشاكل الإقتصادية او الإجتماعية بل العكس زادت المشاكل على الصعيدين، تضاعفت الأسعار وشح الخبز نفسه الذي هو من اقل المطالب، حتى صار حلماً لبعض الأشخاص !إزداد الأمر سواءً وكل ما

أستجدت مشكلة رموها في حضن النظام البائد !كل شئ، ورئيس الوزراء الشكلي يقول:

" سنعبر وسننتصر " كل ما إرتكب الأخطاء يأتي ويقول هذه الكلمات بأعين بليدة تدعي العمق، والشعب هنا يصدق والشباب الذين هم وقود الثورة إنشغلوا تماماً بالتعديلات القانونية الجديدة وإسقاط حد الردة وشرب الخمر ووصاية الرجل على المرأة !والمرأة ذاتها منهمكة في تخيلات لا اساس لها ولا هدف غير تدنيس المرأة نفسها !فجأة ! وجد جوهر نفسه أمام المقهى الذي صار مُتكأً للسفسطائيين صار مجرد مكان يفور جدلاً، مشى جوهر وبحث عن ملاذ وبابا نويل التي تتبعها كالظل بحث عنهم بأعين كسولة وصدر يجاهد الأنفاس، وجدهم غارقين في الحديث هم وبعض الشباب النائحين

- مرحباً جوهر . . كيف حالك.

- بأحسن حال الحمد لله.

-أُعرِّفِكم يا شباب . . . هذا جوهر مالك شركة التكامل للتعدين.

= تشرفنا يا جوهر.

- لي عظيم الشرف.

- هؤولاء أصدقائي . . يوسف وعمار . . وهذه شادن تعرفها جيداً(وهي تشير بأصابعها إليهم)

-اجل أعرفها ههههه.

- لماذا تضحك !هل هناك ما يضحك؟

قالت هذا بشئ من التشكك في نفسها.

- لا فقط تذكرت دعابة قديمة تضحكني دائماً هههه.

نظرت إليه مطولاً ثم إلتفتت إلى الآخرين قائلة:

- إن سلطة الأب هي سلطة غير قانونية، على كل إمرأة أن تتخلص من هذه السلطة وتربي أولادها على الإستقلالية.

قال عمار بنوع من العمق:

- نعم فالرجل مجرد فرد في الوطن والمواطن لا يقيد المواطنين.

- إذاً مَنْ يقيد المواطنين؟ !الدولة !الوطن نفسه !

تساءل جوهر هاكذا في فضول.

- المواطن حر تماماً في كل شئ ولا يقيد .

- اجل فهمت.

تظاهر بالفهم في تمثيل بارع وملاذ تنظر إليه بإعجاب عميق، تواصل النقاش الذي توصلوا فيه لحلول جذرية للمشاكل الإجتماعية(الأسرة لا تعني شئ وكذلك الرجل).

أخبرتهم ملاذ بأن عليها الذهاب لوالدتها في المستشفى عليه خرجت هي وجوهر الذي كاد أن يموت غيظاً منهم.

-هل ستذهبين حقاً للمستشفى؟ منذ متى ووالدتك مريضة!

- هل إنطلت الخدعة عليك أيضاً !هيا معي للمنزل لدي مفاجأة ستسرك جداً.

- وما هي هذه المفاجأة؟

قالت وهي تنظر إليه بغرابة:

- هي مفاجأة!

- حسناً إنتظريني هنا ريثما أُحضِر السيارة.

- لا تتأخر.

- لن اتأخر.

مشى بخطوات تحاول الإسراع رغم أغلال الدخان التي تُثقلها، على الرصيف كان الناس ينظرون لبعضهم في حيرة وشتات كأنهم ينتظرون إجابة منقذة لحيرتهم يجدونها في وجوه بعضهم، سار جوهر بينهم بصمت وإختناق، على زجاج إحدى السيارة المتوقفة إنعكست صورة جوهر، بدت الدهشة عليه في بادئ الأمر؛ لأنها كانت صورة عادية هادئة عكس ما توقعها تماماً، على هاذا عرف جوهر أن الضيق الذي به هو داخلي فقط ولم يصل لتلك المرحلة التي تنكسر فيها الملامح - او وصل - وهو في مرحلة ابعد من ذلك، كان يفكر بينما قدماه تلامس أرض المنزل وعيناه تنظر للجد شريف في شخوص(إذًا فكلهم يختنق مثلي)هكذا رددت افكاره . . . حتى أمي والجد شريف الذي مل عقله من نمطية الحياة فقرر التحليق في عوالم أخرى ! والسيد رضوان؟ هل هو ايضاً يختنق؟ منى وملاذ . . بالتأكيد هم كذلك يختنقون.

عاد جوهر على متن سيارة المرسديس سيدان الفضية عاد إلى ملاذ بوجهٍ يدعي الفرحة، ركبت السيارة بهدوء فاتن وقالت بنفس الهدوء :

- ما رأيك أن نذهب إلى البحر لقد إشتقت لمكاننا القديم كثيراً.

- هل ستخرج المفاجأة من البحر؟

- ههه لا فقط هيا بنا، أود الإعتراف لك ببعض الأشياء.

حدق جوهر بها بتعجب، تحرك بعدها بالسيارة وصدره يضج بالحروف الحائرة، على جوانب الطريق كان الناس غارقون في اليوميات :صفوف الخبز، وصفوف البنزين، والصرافات الآلية، وإنتظار مركبات النقل المنقذة من لهيب الشمس، في تلك الأثناء كانت ملاذ تسهو بهموم لا يعرفها جوهر، تنظر إليه في براءة حينةً وتشيح بمقلتيها عندما تدركها لحاظه، إستمر الحال حتى وصلا إلى المُراد - البحر - وهدوئه في ايام مايو الحارة، جلسا كما كانا يجلسان في تلك الأيام ونشوتها لكن النشوة هنا هي للأحزان وما تضيق به الصدور، على إحدى الصخور البحرية كانت جلستهما وهما يحدقان بالبحر الذي لا يبالي بالأحزان، كانت ألسنتهما تحاول النطق في إرتباك عقيم، حينها تمتم جوهر الكلمات:

- ما هو الإعتراف يا ملاذ ؟

- هل تعدني أنك ستصدقني يا جوهر ؟

- انا دائماً أصدقك.

- لا تكذب، انا أعرف أنك تمثل.

عندها بدت الدهشة على جوهر ولم يعرف بماذا يرد.

- لا تخف، فانا أيضاً كنت اكذب، لم أصدق حيلتك يا عزيزي.

- انا لا أبالي بكل هذا، فقط أريد الوصول لعلي.

- الشئ الوحيد الذي لم اكذب فيه ولم أستطع مقاوته، هو أنني أحبك.
. . لا تنظر إلي هكذا انا فعلاً أحبك، ولا أريد أذيتك.

تضاعفت دهشة جوهر فملاذ تنطق بصوت صادق ثابت لا يشوبه التمثيل !

- وما علاقتك بعلي؟ ولماذا تساعدينه في جُرمه !

- كان حبيبي قبل أن أعرفك عن قرب، أنت عكس ما أخبروني عنك . . أنت جميل وصادق.

- حبيبك !هل جُننتي؟ كيف لملاك مثلك أن يحب شيطان !

- الحقيقة أنني لا أُحبه ولا أُحب اباه ايضاً، لكن صحة والدتي وتكاليف علاجها الباهظة أجبرتني على كل هذا، امي يا جوهر تعاني من مرض خبيث.

- فهمت موقفك . . لكن من تقصدين بوالده؟

- حسبتك أذكى من ذلك ألمّ تعرف مَنْ والده حتى هذه اللحظة، مَنْ يحب المال والنساء يا جوهر؟ مَنْ الذي قام برشوة حراس الزنزانة ليهرب علي؟ فكر في الأمر . . إنها خطة محكمة تماماً.

اجال جوهر أنظاره في اللؤلؤِ الذي نثرته أشرعة الشمس على صدر البحر، وذات نور وجد جوهر ضالته والركن الرابع للخطة، كان هو الظل الذي يركض خلفه وآخر من توقعه جوهر في قائمة الخيانة، الصديق الأكبر ورفيق درب والده كان هو السيد رضوان!

قال جوهر دون أن يشعر قال بإشمئزاز:

- السيد رضوان !

- ومَنْ غيره.

- كيف ذلك. . . !

هذا مستحيل، إنه صديق ابي العزيز!

- ألم يكن عمرو صديقك العزيز أيضاً !لا تتفاجأ، إن البشر كلهم يخونون ويكذبون.

- سأقتلهم جميعاً . . لن أغفر لهم أبداً.

- لا تنفعل، سأساعدك فانت الوحيد القادر على تخليصي من عالم الأكاذيب، علي الأن في المدينة وينتظر قرار المحكمة بشطب التهمة الموجهة له، عندها سيحاولون التخلص منك، ليكون علي هو الوريث الشرعي لوالدك.

- يا لهم من ماكرون !انا لا يهمني المال، ما يهمني هو رؤية سديم ومنى سعيدتان، ولنكون سعداء علي " التخلص من كل ما يزعجنا، إن أنفاس علي التي يتنفسها الأن تزعجني، وهذا الخنزير رضوان سأذبحه بيدي.

- هل تعرف أنهم هم من قتلوا أخي !قتلوه بلا رحمة !لقد كان يشبهك كثيراً.

عندها خبأت ملاذ رأسها بين أرجلها وغاصت في دموع حبيسة حررتها اللحظات، فما كان من جوهر إلا أن يواسيها وهو الباحث الأول عن المواساة، تأكد جوهر حينها أن الجميع بالفعل يختنقون ويبحثون عن الهواء.

جلس جوهر يواسي ملاذ الغارقة في الدموع، ويعدها بالخلاص إن تعاونت معه حتى ينتهي كل شئ، وفعلاً وعدته بالتعاون والحب والتكاتف حتى تنجلي الهموم.

- هيا يا ملاذ لنذهب؛ فقد تأخرتي على والدتك.

جففت دموعها وأستجمعت أنفاسها بسرعة ثم قالت:

- لنذهب يا جوهر . . لكن عليك الذهاب إلى المنزل سأذهب بمفردي حتى لا يكتشفوا سرنا.

- حسناً أطلبي سيارة أُجرة، وأبلغيني عن حالة والدتك عندما تصلين .

- سأفعل.

ودعته بمظهر لم يرها فيه من قبل بإنكسار وحزن لا يناسبان جمالها، حينها ذهب كل منهما في طريقه تاركاً مشاعر الآخر تحتضن الوعود .

عاد إلى المنزل شارد الذهن صعد إلى غرفته وجلس ممداً رجليه على السرير وبدنه قائم يستند به على الحائط، كالنسيم العليل دخلت عليه سديم لتقطع جو الإنغماس الذاتي وهي تتسحب كجنود الإستطلاع، قالت وهي تخرج ورقةً من جيب البنطال الصغير:

- لقد تعبت وانا اوصل الرسايل يا جوهر . . أعطني بعض الشوكلاته .

- ههها حسناً سأعطيك إياها في المساء لكن عليكِ تنظيف أسنانك جيداً.

- هذا جيد، الأن أريد أن انام هنا بجانبك فغرفتي تخيفني.

- إصعدي السرير وخذي راحتك بالكامل فقط لا تصدري شخيراً لأني ساطردك إن حدث هذا.

- لن تفعل(وهي تضع رأسها على الوسادة)قال جوهر بعد دقايق من نومها السريع وكأنه يحدث نفسه:

- لن أفعل ذلك أبداً.

الأن صوتان يتقاسمان مهمة الأزعاج، شخير سديم وصوت الكلب الضئيل وهو يواصل التلفت، فتح جوهر الرسالة وراح يقرأها بصوت

منى العالق في أعماق قلبه" جوهري َالعزيز كم تمنيت أن تكون بجواري حتى تستحي هذي الدموع منك وتكف عن التساقط، هذه الرسالة كالجودي الذي أوى نُوحاً ومن إتبعه من الطوفان، اشتقت لك يا هزاريَّ المغني وإشتاقت غصون قلبي لتغريدك، متى ينتهي كل هذا البؤس؟ أرجوك توخى الحذر؛ فقد أُعلنت براءة علي . . !نعم أُعلنت بالمنشور القضائي الذي إستلمته والدتك قبل بضعة ايام، بالتأكيد هو الأن قريب منك، أرجوك إحترس "أغلق جوهر الرسالة وراح يفكر في خطة محكمة ينتهي بها كل شئ، هو الأن يحارب عدوين وليس واحد او ثلاثة لا أحد يدري ما تخبئه النفوس.

إتصلت ملاذ به لتخبره أن الموعد المنتظر هو غداً !أخبرته أنها تثق فيه وعليه الثقة التامة بها، على هذا الإتصال أخرج جوهر ورقة وكتب . . . إلى مُناي" غداً ينتهي كل شئ "عزيزكِ جوهر.

وضع الرسالة في جيب سديم ووضع بعض الشوكلاته بجانب الكلب الصغير بعدها غط في نومٍ عميق.

منتصف مايو/أيار

صباح كالرماد لوناً ورائحة ويوماً للتاريخ، أنتظر جوهر هذا اليوم كثيراً، سنة وبضع شهور مرت عليه كمرور دبابة على صدر جندي، كانت ايام طويلة غارقة في التفاصيل الحزينة، لكنها كانت، اليوم إما أن يحيى او يموت لا خيار ثالث، ركب سيارة المرسديس ذاتها التي رافقت مصاعبه، بثباته المعهود تحرك إلى المجهول بعد رسالة ملاذ التي أخبرته فيها بمكان التلاقي، فكان المكان مزرعة السيد رضوان النائية عن المساكن، زاد وقع دقات قلبه عندما قرأ إسم علي في الرسالة، هو موجود هناك، والخطة او المصيدة هي أن يأتي جوهر وبعد أن يغوص في أجواء اللحظات يغدر به علي وتنتهي القصة، حذرته ووجهته أن يحضر معه سلاح ناري لكي يدافع عن نفسه جيداً لكن الأمر قد فات على جوهر او تناساه لحبه القتال بالأيدي العارية؛ هذا ما يفعله الرجال، في تلك الأثناء كان جوهر يقترب أكثر فأكثر من مزرعة رضوان الدنيئة، لم ير شيئاً في الطريق غير صورة علي المزعجة ولم يتذكر شئ غير رائحة اللوز التي فاحت من والده في ذلك اليوم الرمادي، كان جوهر ساكناً من كل شئ حتى عندما أوقف

السيارة امام الكوخ الخشبي الذي يبدو كمنازل السموراي حيث لم يكن هناك من يتحرك غير سنابل القمح الراقصة على نغم الريح، لم يتردد وهو يطرق الباب الخشبي في هدوء ووجه عادي يتقنه كثيراً، كانت لحظات حتى فتحت ملاذ الباب وإحتضنت جوهر بحنين مفتعل

- مرحبًا جوهر، لماذا تأخرت فالسيد رضوان ينتظرك في شوق.

- الطريق كان مزدحم، اعذروني على تأخري.

تقدم جوهر بعدها خطوات حتى بات على مقربة من السيد رضوان الذي يدعي عدم الملاحظة، وفجأة إلتفت إليه ليبدل ملامحه العادية إلى فرحة مقتبسة، وراح يردد في ترحاب مشرعاً ذراعيه:

- جوهر جوهر جوهر . . إبن أخي العزيز كم إشتقت إليك.

- السيد رضوان الجميل، لا تتحدث عن الشوق وأنت لم تر ما بقلبي . وبنفس الحضن الذي كان يحتضنه له منذ صغره إستقبله، جلسوا هم وملاذ بعدها يتبادلون النظرات المرتبكة وبينها بعض الكلمات المستعملة، تلك اللحظات أشبه بجراحة المخ لدقتها وحساسيتها فأقل كلمة او حركة قد تحبط المخططات، حتى غير جوهر مجرى الحديث المنغلق عندما تساءل عن مستجدات العمل وأحوال الشركة، كان بارعاً

في تمثيله لكن الجميع أيضاً كانوا يؤدون المشهد بمهارة كأنهم في قصة كتبت مسبقاً، قامت ملاذ لتحضر بعض الطعام المعد سلفاً من المطبخ حيث تأخرت لبعض الوقت، واصل السيد رضوان حديثه المضلل عن مجرى الأحداث، بينما جوهر يحاول تحمل رائحة الرماد التي يعبق بها المكان، كان متأكداً تماماً من وجود علي في زاوية من زوايا المنزل جاهد نفسه كثيراً حتى تسير الخطة كما وضعت، حضرت ملاذ تحمل بين يديها قطعة كبيرة من البيتزا وضعتها على المائدة

-تفضلوا يا سادة، هيا كلوا معي حتى تكتمل السعادة(قالت هذا بصوت تهريجي مشوق)

- يبدو أنها شهية، لا تقل لي يا جوهر أنك لا تحب البيتزا كوالدك.

- رحمة الله عليه، لا لست كذلك انا أحب كل شئ تأتي به ملاذ.

- ههههه شكراً على الإطراء، الم أقل لك يا سيد رضوان أن جوهر لديه الكثير من الغزل.

- لم أكن اعلم أن إبن اخي يمتلك مقدرة التغزل، فهو يحب الصمت كثيراً، لكن صدقيني لو كان ساكناً كالمقابر لتحدث عند رؤيتك.

قدمت ملاذ لكل منهما قطعة بيتزا كبيرة، وضع جوهر القطعة على الطاولة وذهب لغسل يديه دون اي تردد وملاذ تنظر إليه والسيد رضوان يدعي الإنشغال، عاد جوهر ليجلس على المائدة وبحركة خفية عنهم بدل القطع، راح يأكل قطعته بلامبالاة فريدة حين كانت ملاذ ورضوان يتبادلان النظرات الخبيثة

- كيف وجدت مذاقها يا جوهر؟

- شهية مثلك يا ملاذ(وهو يمضغ بطريقة أشعبية)

- ملاذ دائماً تحضر الوجبات الرائعة إسألني انا عن هذا.

أبدت بعض الفرحة في وجه جوهر بينما السيد رضوان يراقبه، وما هي إلا لحظات حتى أمسك جوهر براسه وراح يترنح في مقعده، وهما ينظران إليه في ترقب، وبحركة بوليودية مدهشة سقط جوهر أرضاً بين الطاولة والكرسي الذي سقط أيضاً بعشوائية، راح جوهر يجاهد الأنفاس وينظر لملاذ نظرة غضب عاجزة.

-هاها ها لقد هضم السم هضماً . . يا له من مسكين.

- هل سيموت يا سيد رضوان؟

قالت هذا بشفقة أنثوية متأخرة.

- هي دقايق فقط حتى تنقطع أنفاسهكما إقطعت أنفاس أبيه . .أنظري إليه كيف يتشنج.

بالفعل كان جوهر يحدث بعض الهزات التي توحي بذلك.

- أُخرج يا علي فقد إنتهى الأمر واشكر ملاذ على حلاوة يديها.

وقع أقدام تقترب أصواتها من فضاء المكان صادرة من السلم اللولبي الذي يؤدي إلى سطح الكوخ، كان الصوت يقترب أكثر وجوهر يبدع في إدعائه وما هي إلا ثواني حتى حجب الظل بعض خيوط الشمس، كان ظلاً مائلاً ومميلاً له رائحة الرماد كان علي نفسه الذي سبب كل الألم، بخطوات تدعي الثبات ونظرة مزدرية ألقاها على جسد جوهر المتهالك وهو يضع يديه داخل جيبه كأنه هتلر النازي ذاته قال:

- لقد أديتما المهمة بشكل جيد . . هل فارق الحياة؟

ونظره مثبت على جسد جوهر الملقى بعشوائية.

- هو ميت لا محالة يا علي، الأن هيا بنا إلى منزلك لنتم فرحتنا ونشهر زواجنا على الملأ.

نظر إليها علي بسخرية خبيثة وراح يتبادل النظرات نفسها مع السيد رضوان الذي كان يقضم قطعة البيزا في متعة، اعاد نظره مجدداً لجسد جوهر بإستحقار.

- سأترك لك الجثة والهدية يا أبي واذهب لرؤية امي؛ بر الوالدين شئ ضروري.

- وانا يا علي متى ستعطيني فرحتي؟

- هل علمتي ما هي الهدية؟

-لا.

- أخبرها يا أبي.

ثم تخطى جثة جوهر المهملة برواقية عالية وهو يتجه للباب بنشوة المنتصر، أغلق الباب، والسيد رضوان ينظر لملاذ بشهوة مفرطة وهي تجلس بجانبه في المقعد الكبير والخذلان والدهشة القاتمة يتقاسمان ملامحها، وجوهر يشخص بصره بطريقة سينمائية دقيقة، أمسك السيد رضوان بيديها ثم راح يقبلها بطريقة عشوائية ويلوي يدها الرقيقة التي تحاول ردع الإغتصاب بلا أمل . . . إنتهك أنوثتها إنتهاكًا

مفرطًا، وفجأة !أمسك براسه وتقهقر إلى الخلف !وهو ينظر لجوهر الذي إعتلت وجهه بسمة منتصرة وساخرة لحد بعيد، وملاذ تلملم أشلاءها المتناثرة.

- ها ها ها . . هل ظننتم أن الأمر بهذه السهولة . . النساء كاذبات والرجال ماكرون هذه قاعدة ثابتة.

قال هذه الكلمات وهو ينفض الغبار من على جسده بينما كان رضوان يتداعى في غياهب الألم، اليوم لا رنيم لسمه ولا أمل، سقط بعنفوان يجاهد الهواء ويوحي وجهه بحتمية الهلاك وملاذ تسكب الدموع بإنكسار.

- انا آسفة يا جوهر . . أرجوك سامحني.

- هاهاها سامحتك . . لكن القانون لن يسامحك على قتل هذا الرجل المسكين هاها.

جاهد رضوان نفسه لينطق ببعض الكلمات المختنقة والمتوعدة:

- علـلـي . . لن ي تركك تع يش . . س س ينتقم.

- علي هاها. . .(نظر من الشباك لسيارته المبتعدة)هل تعلم ما مهمة هذا الزر الأحمر في يدي؟ *30* كيلوجرام من الديناميت تكفي لمسح مبنى كجبل في الأنتيل من خارطة الحياة، هل تعلم أين وضعت؟

في تلك الأثناء حاول رضوان إخراج الهاتف من جيبه لكن الأمر كان اقل من المستحيل بقليل وما هي إلا ثواني حتى إهتزت الأرض جراء الإنفجار الطاغي والمزلزل، إنفجر جوهر أيضاً وتمددت وفازت نفسه بشعور الحرية لأول مرة، وهو ينظر للسحابة السوداء التي لاحت على الأفق تبشر الجواهر بالخلاص قال كلمته لمناه عبر الهاتف:

"إنتهت المسرحية".

في وقت آخر . . .

قالت منى:

صار للحب جناحين . . أنت وانا . . وسوف يحلق عالياً.

طارت أفكار الأم بعيداً عن الواقع - إنغمست - في اللامعلوم.

قال عمرو. . .

قال بعد أن ادرك أن الحياة مملة وحزينة:

" يبدو أن هنالك حياة أُخرى أجمل في وقت آخر . . نحن في عالم سرابي"

بدأ الناس بالإبتعاد عن بعضهم؛ فالمرض يواصل الإنتشار ويسبح في الهواء بحرية لا أجنحة لها، حتى الأصدقاء تفرقوا والعشاق تركوا العناق إلا في الضرورة .. إن هذا الوباء تحتضنه الأنفس المتعبة والتي عرفت عن الحياة أكثر من ما يجب و أثقل من ما تتحمل.

وقفوا صامدين وقلوبهم تضج بالأحلام الجوهرية، عرفوا حينها أن ما بين الحلم والواقع المرير خطوات على النار وتضحيات، وهاهم يسيرون بخطى قوية ثابتة إلى عالم يسمح بالحياة، ينشدون الهواء وينشرون الأمل في الفضاءات الواسعة، يكتبون السلام على جباه الأطفال.

تم بحمد الله

14/1/2021

بُري الدرايسة/الخرطوم